الفصل الاول

العصر الأموي ٩٢ -٤٢٢ هـ

(الولاية، الامارة، الخلافة، الفتنة)

الفصل الاول

العصر الأموي

أ – عهد الولاة (٩٢ –١٣٨هـ)

يبدأ هذا العهد بولاية عبد العزيز بن موسى بن نُصير الذي اتخذ اشبيلية عاصمة له، ولم تدم ولايته طويلاً إذ قتله الجند سنة ٩٨ للهجرة، ثم اجتمع زعماء البربر واختاروا ايوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نُصير، ثم تعاقب على ولاية الاندلس اثنان وعشرون والياً، منهم من كان يعينهم الخليفة او والي شمال افريقيا[١] واتسمت تلك الفترة بكثرة الحروب والمنازعات، حروب مع الأفرنجة عبر جبال برانس وحروب مع الاسبان في الاقاليم الشمالية وحروب في متابعة الفارين والمناوئين، والمنازعات الكثيرة على السلطة بين العرب والبربر ثم بين العرب انفسهم قيسيين ويمذيين وكان مجتمعاً مضطرباً قلقاً، واغلب الداخلين الى الاندلس جنوداً وحكاماً كان شأنهم المعارك والسلطة لا العلوم والثقافة عدا نفر قليل من التابعين الذين كانوا على حظ من المعرفة الدينية وقدر ضئيل من الادب، قائلوه مشارقة وفداً على الاندلس لذلك فهو ادب مشرقي، منهم: -

١- ابو الاجرب بن جَوَنة بن الصِّمة[٢]، واشتهر بالهجاء والمديح وهو من العرب الطارئين على الاندلسي، وقيل كان في مرتبة الفرزدق وجرير، يروى ان ابا نواس سأل الشاعر عباس بن ناصح الاندلسي ان يسمع شيئاً من شعره عندما زار بغداد، وشعره مفقود إلا ابياتاً قليلة، وردت في المغرب[٣].

ولقد أراني من هواي بمنزل عال ورأسي ذو غدائر افرعُ

---

[١] فجر الاندلس : ٣٤٥ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ابن القوطية : ١٠ ، البيان المغرب ٢: ٣٠-٥٦ .
[٢] المغرب ١: ١٣١ ، النفح ٢ : ١٥٦ ، بغية الملتمس رقم :٦٢٢ ، جذوة المقتبس: ١٨٧ ، الادب الاندلسي من النفح حتى سقوط غرناطة ، احمد هيكل : ٦١ .
[٣] المغرب ١: ١٣٢ .

والعـــيش اغيـــد ســـاقطٌ افنـــانُه والمـــــاء أطيبـــه لنـــا والمرتـــع

٢- الشاعر ابو الخطار حُسام بن ضِرار [١]، وفد على الاندلس والياً سنة ١٢٥ للهجرة ايام هشام بن عبد الملك، وكان شاعراً فارسا، لقب بعنترة الاندلس ولم يعثر إلا على قليل من شعره، فمن ذلك قوله في ثأر اخذه لعزيز له بقوله[٢]: -

فليـتَ ابـن جَـوَّاسٍ يُخبَّـر انـنـــــي سـعيتُ بـه سـعي امـرئٍ غيـر عاقـلٍ

قتلـتُ بـه تسـعين تحـسب أنهـــم جـذوع نخيـل صُـرِّعتْ فـي المسـايل

ولـو كانـت المـوتى تبـاع اشـتريته بكفـي ومـا اسـتثنيت منهـا انـاملي

و له قصيدة في معاتبة المروانيين على نصرتهم للقيسيين على اليمنيين ورد في تاريخ افتتاح الاندلس لابن قوطية وجذوة المقتبس[٣].

* * * *

أما النثر:- فيقصد به النثر الفني الذي يتجلى فيه الكاتب او القائل حسن بيانه وجمال اسلوبه بما يقتضي الموقف والمعنى، ويختلف عن النثر التأليفي الذي يراد به نقل معلومة معينة الى القارئ، واتسمت تلك الفترة بقلة عدد النصوص النثرية، ولا يمكن ان توصف بانها من النثر الاندلسي لانها ليس من البيئة الاندلسية التي لم تتكون بعد إلا أنها كتبت في الاندلس من قبل كتاب كانت نشأتهم وثقافتهم مشرقية ويمكن تصنيفها الى:

١- **الخطابة:** ضرورة تستوجبها ظروف الحرب والنزاع القبلي والمناسبات الدينية والاجتماعية، واقدم خطبة وصلتنا من الاندلس، خطبة طارق بن زياد عند

---

[١] بغية الملتمس : ٦٨٦ ، جذوة المقتبس : ١٨٨ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ١٨ ، اخبار مجموعة : ٥٦ ، الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٢ .

[٢] جذوة المقتبس : ١٨٨ .

[٣] تاريخ افتتاح الاندلس : ١٨ ، جذوة المقتبس : ١٨٩ .

عبوره مضيق جبل سمي باسمه، وادعاء بعض المصادر بحرقه السفن التي حملته وجنوده الى الاندلس، واشتهرت من خلال المقولة المشهورة "ايها الناس، اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم " وقد وردت الخطبة بروايات متعددة مع ثلاثة ابيات يحدثنا فيها عن عبوره الى الاندلس رواها الحجاري في المسهب ونقل عنه المقري التلمساني في النفخ [١] ولم ترد النصوص في مصادرتاريخ الاندلس المبكرة باستثناء النص الذي جاء في كتاب " افتتاح الاندلس " لعبد الملك بن حبيب (٢٣٨ هـ) [٢] والنص الذي ورد في كتاب " الامامة والسياسة " والمنسوب ظناً لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، بينما اعتمد المقري على رواية ابن خلكان (ت٦٨١ هـ) في كتابه وفيات الاعيان، ويدور شك كبير حول ذلك النص والاليات التي وردت معها لحداثة طارق بن زياد في الاسلام اذ كان بربريا ومولى موسى بن نصير وحديث العهد بالعربية، وان المصادر الاولى التي تناولت عملية الفتح لم تشر الى تلك النصوص، واسلوب الخطبة يغلب عليها التكلف والسجع وهو من سمات الخطبة في العصر العباسي المتأخر، وان المعاني التي جاءت فيها غير ملائمة مع الروح الاسلامية في الدعوة الى الجهاد اذ اشار الى دوافع الفتح في الحصول على اللؤلؤ والمرجان وبنات اليونان، اضافة الى ان الخطبة خالية من الاقتباسات القرآنية والاحاديث النبوية، وردت فيها اخطاء تاريخية وعسكرية، وان من اوليات الخطط العسكرية التفكير بمسالك الانسحاب، لذلك يدور الشك عن حرق طارق للمراكب التي نقلته ولاسيما ان المراكب كانت عائدة الى يوليان حاكم سبته كما اسلفنا في حديثنا عن عمليات فتح الاندلس في التمهيد[٣] والارجح ان طارق قد خطب بين جنوده باللغة البربرية وحثهم على القتال والجهاد واورد لهم مقولته المشهورة "البحر من ورائكم والعدو امامكم " مما اصبحت فيما بعد بذرة دسمة للقصاصين بحياكة الاساطير حولها ومن ثم انتقالها

---

[١] النفح : ١ : ٣٦٥ .
[٢] استفتاح الاندلس: تحقيق : محمود علي مكي ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ٩٥٧ .
[٣] لقراءة النصوص ، وعوامل الشك ، يرجى مراجعة كتاب " الادب الاندلسي " احمد هيكل : ٦٧-٧١ والادب الاندلس ، د. منجد بهجت : ١٠٠-١٠٣ .

الى كتب التاريخ باساليب كتابها، وان النصين اللذين وردا في المصدرين الاولين اقرب الى الصواب.

٢- **الكتـــابـــة:** - ضرورة تقتضيها ظروف الحكم والفتح كالرسائل والعهود وطلب الصلح والدعوة الى الرجوع الى الطاعة...، وبين ايدينا نصوص قليلة جداً، منها ما حفظ من الكتابة من عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير الى " تودمير " احد حكام القوط، وقد جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد العزيز الى تودمير، إنه نزل على الصلح وإنه له عهد الله وذمته، ألا ينزع من ملكه، ولا احد من النصارى عن املاكه وانهم لا يقتلون ولا يُسبون ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ونسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ما تُعَبـــد ونصح، وأنه لايأوى لنا عدّوا ولا يخون لنا أمنا ولا يكتم خبراً علمه... " [١] وورد في بيان المغرب[٢] رسالة من يوسف الفهري، آخر الولاة الى عبد الرحمن بن معاوية "الداخل" حين علم بنزوله بالاندلس، وكاتب الرسالة هو خالد بن يزيد وكان رسوله اليه، عندما اراد ان يألفه ويتفادى القتال معه، ومن الرسالة " اما بعد، فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكَّب وتأبش من تأبش اليك ونزع نحوك من السراق واهل الختر والغدر ونقض الايمان المؤكدة الذين كذبوا الله فيها وكذبونا، وبه جل وعلا نستعين عليهم، ولقد كانوا معنا في ذوي كنف ورفاهية وعيش حتى غمصوا ذلك، واستبدلوا بالامن خوفاً، وجنحوا الى النقض، والله من ورائهم محيط، فان كنت تريد المال فانا اولى بك ممن لجأت اليه، ألا اغدرك، ولا امكن منك ابن عمي صاحب إفريقية، ولا غيره[٣].

ومن أهم الكتاب في تلك الفترة، خالد بن يزيد الذي كان كاتباً لاخر الولاة يوسف الفهري ثم لعبد الرحمن الداخل، وامية بن زيد الذي دخل الاندلس مع جنود

---

[١] الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٥ .
[٢] بيان المغرب ، ابن عذارى ٢: ٦٧ .
[٣] تابش : تجمع ، غمصوا : انكروا واستقلوا .

بَلج بن بشر، و تناولت موضوعات النثر النواحي السياسية والاجتماعية مثل مسائل الدين وامور القبائل والعهود والرسائل والتوقيعات، وخصـائصه مشرقية يميل الى الايجاز وقوة العبارة على حساب تزيينها بالمحسنات، ولم تعرف المقدمـات الطويلة والالقاب العديدة [1].

ب – عهد الامارة (١٣٨ –٣١٦هـ).

أولاً: القرن الثاني للهجرة.

الظروف السياسية والاجتماعية: يبدأ هذا العهد بدخول عبد الرحمن الداخل الى الاندلس وتأسيس الامارة الاندلسية، وتميز حكمه (١٣٨-١٧٣هـ) وحكم ابنه هشام (١٧٢-١٨٠ هـ) وحفيده الحكم (١٨٠-٢٠٦ هـ) ببلورة هيبة الدولة الاندلسـية، وتقليل المنازعات الداخلية والخارجية بتضعيف الارستقراطية العربية باستخدام عناصر غير عربية وظهور طبقة الموالي والمولدين من الاسبان المسلمين واستعمال العنف المفرط في القضاء على ثورة المولدين في العاصمة قرطبة[2] ووضع الدولة على سكة التقدم العلمي والحضاري والتوسع في اعمال البناء والعمران، فقد اسس عبد الرحمن الداخل مسجد قرطبة [3] واستقدم الفنانات المشرقيات واسس لهن داراً عرفت بدار المدنيات لتعليم الموسيقى والغناء، وبرزت شخصية المرأة الاندلسية التحررية، كما بدأت الحياة الثقافية تميل الى التحسن بعد وفود كثير من الامويين من الشرق على الاندلس وعودة افواج الدارسين من الشرق، وتبلورت الحلقات الدراسية في الجوامع على غرار المدارس والجامعات، ومن جانب اخر تحول الاندلسيون من المذهب الاوزاعي الى المذهب المالكي وبشدة مما اثر سلباً على الحياة الثقافية واضفاء صفة الجمود على الحياة العقلية، وهو مذهب يعتمد على النص ولا يفسح

---

[1] الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٧ .
[2] للتفـاصيل ينظر البيان المقرب ، ١ : ١١٣ ، ٢ : ٧٢ ، نفح الطيب ١ : ١٥٩ ، المعجب : ١٢ .
[3] البيان المغرب ٢ : ٣٤١ .

للعقل مجالا ويكره التفريع والتفلسف والمنطق لدرء الشك والزيغ عن العقيدة والاعتماد على الفطرة والنص لغرض الوصول الى اليقين [1] كما تبلور في تلك الحقبة الجيل الاول من الادباء الاندلسيين، مثل الشاعر ابو المخشيّ والشاعر عباس بن ناصح والشاعرة حسانة التميمية، ومشاركة الحكام لهم في قرض الشعر، فقد كان عبد الرحمن الداخل شاعراً مجيداً وناثراً بليغاً وحفيده الحكم بن هشام شاعراً وناثراً، وتميز شعر ذلك الجيل بالملامح الآتية (اتجاهات الشعر): -

١- **الاتجاه المحافظ:** - الاهتمام بالموضوعات التقليدية من فخر وحماسة ومدح وغزل على نهج القدامى في بناء القصيدة والاعتماد على صورهم المستوحاة من شبه الجزيرة العربية باعتبار القصائد الجاهلية هي الصورة المثلى للقصيدة العربية والعيش في أجوائها من الصحراء والنوق والدبان والكثبان وحيواناتها وانها عندهم اكثر جرياناً على الطبيعة واحفل بالجزالة العفوية وبالغريب[2] وظروفهم كانت ملائمة لهذه الموضوعات، فالفخر والحماسة من لوازم الصراع والغلبة وقد عرف الداخل والحكم بهذا النوع من الشعر في الاشادة بالسيف والقتال، ومن لوازم البيئة العربية القديمة ولنا في ذلك قصيدة طردية للامير عبد الرحمن الداخل[3].

دعني وصَيد وقع الغرانقْ
فانّ همي في اصطياد المارقْ
في نفق إنْ كانَ او في حالق
إذا التظتْ هواجر الطرائقْ
كان لفاعي ظلّ بندٍ خافقْ
غنيتُ عن روض وقصر شاهق
بالقفر والأيطان بالسرادق

---

[1] ينظر : تاريخ علماء الاندلس : ابن الفرضي ١ : ١٨١ .
[2] الادب الاندلسي : ٤٨ ، احسان عباس .
[3] الادب الاندلسي : ٩٤ ، احمد هيكل .

فقُل لمنْ نام على النمـــارق
إنّ العلا شُدت بِهمّ طـــارق
فاركبْ ثبـــج المضـــائقْ
اولا، فانتَ ارذل الخـــلائقْ [١]

والقصيدة فيما روى: اتاه ممن كان يعرف كلفه بالصيد، فاخبره عن نوع من الطيور تسمى " غرانق " الى جانب معسكره في احدى حملاته، فالقى هذه القصيدة التي تحتوي على الفاظ غريبة، كالغرانق: جمع غرنوق و هو الكركي، والايطان: مصدر اوطن أي مقام، والثبج: الحافات، وهواجر: قطاع طرق، وبند: علم والسرادق: ما يحمي به من الشمس، والنمارق: الوسائد، والقصيدة من بحر الرجز مشطورة وهو وزن ينسجم مع هذا الموضوع، واكثر طرديات ابي نواس بهذا الوزن، اما القافية مؤسسة دخيلة تنتهي بروى قلما يجيد الشعراء فيه و هو القاف ومخرجه في اقصى الحلقوم مع انسداده، والقصيدة تدل على عزة النفس والكبرياء وهي من سمات قصائد الفخر والسلطة، ولحكم بن هشام قصيدة مماثلة تتسم بالشدة والعنف[٢].

٢- **الموضوعات الجديدة:** - ولا نقصد في ذلك عدم وجودها في الشعر العربي القديم وانما معالجة مختلفة، فالشاعر ابو المخشيّ عاصم بن زيد العبادي، و هو نصراني الاصل من نصارى الحيرة، نزل والده الاندلس مع جند الشام في فترة الولاة واشتهر بالهجاء وكان هجاؤه مراً يمس الحرم ويتناول الاعراض، واكثر من مدح سليمان بن عبد الرحمن الداخل، وذكر في مدائحه بيتاً من الشعر عده هشام بن عبد الرحمن الداخل الذي كان فيه حول تعريضا به:

وليســوا كمثــل مِــنْ أنْ سِــيم عُرفــاً يُقلّــبُ مُقلــةً فيهــا أعــورار

---

[١] اخبار مجموعة : ١١٧-١١٨ .
[٢] مصدر نفسه :١٣٢ ، الأدب الاندلسي : ٨٣ ، احمد هيكل .

فاستدعاه الى مدينة ماردة وكان هشام حينئذ والياً عليها، فخرج اليه ابو المخشي من قرطبة طامعاً في عطائه، وامر بقطع بعض لسانه وسملتْ عيناه، وانجبر لسانه بعد وقت وكان يتكلم تلعثماً، واستمر العمى الى مماته فعظم مصابه وكثرت الشكوى في اشعاره، ولما علم عبد الرحمن الداخل بذلك وبخ ابنه وقدم اليه الشاعر وانشده قصيدته التي صور فيها محنة العمى، فاجازه بعطية كبيرة، ومات في عهد الحكم الربضي[1] ومن شعره وهويصور حالة العمى عنده.

قوله:

خضعتْ أم بناتي للعدى أن قضى الله قضاء فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنّما مشيهُ في الارض لمسٌ بالعصا
فاستكانت ثمّ قالتْ قولةً - وهي حرَّى – بلغت مني المدى
ففؤادي قرحٌ مِنْ قولِها ما من الادواء داء كالعمى

و

وهي قصيدة معبرة تعبر عن حال الفاقد البصر وضعفه، وفي تصوير الهّم له:

وهمٍ صافني في جوف يمٍ كلا مَوجيها عندي كبير
فبتنا والقلوب معلقات وأجنحة الرياح بنا تطير

وشعره يمثل الشعر الاندلسي في عهد الامارة في السير في الاتجاه المحافظ مع نفحات اندلسية في تجديد بعض الموضوعات كوصف العمى وتصوير الحال... يتميز بتغليب عنصر العاطفة وتجويد الاداء.

---

[1] للمزيد عن شعره وسيرته : الجذوة :٣٧٧ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٣٥ ، المغرب ٢ : ١٢٣ ، بغية الملتمس : ٥١٣ ، فصول في الأدب الاندلسي : ١١٠ ، الشعر الاندلسي : ٣١ ، غرسيه غومس .

وكانت له ابنة شاعرة اسمها " حُسانة تميمية "، تعد من اولى الشواعر في الاندلس، وكانت جريئة لا تقبل الضيم، فاستغلت مقدرتها الشعرية في الدفاع عن حقوقها، فلما مات ابوها كتبت الى الامير الحكم بن هشام، و هي عازبة تخبره أنها اصبحت وحيدة في قصيدة مدحية منها[1]:

انـــي اليـــك أبـــا العاصـــيُ مُوجعـــة أبـــا الحســـين، ســـقتهُ الواكـــفَ الـــديمُ

قـد كنـتُ ارتـعُ فـي نعمـاه عاكفـة فاليـــوم آوي الـــى نعمـــاك يـــاحكم

أنـتَ الأمـام الـذي انقـادَ الأنـام لـــه وملكتـــه مقاليـــد النهـــى الأمُـــمُ

لا شـيء اخشـى أذا مـا كنـتَ لـي كنفـا آوى اليـــه ولا يعرونـــي العـــدم

لا زلـتَ بـالعزة القعســـاء مرتـديا حتـى تـذل الـيك العـرب والعجـمُ

فلما وقف الحكم على شعرها استحنسه وامر لها براتب، كما لها قصيدة اخرى في الشكوى من عامل الى الامير عبد الرحمن الاوسط واخرى في مدحه [2] و هي قصـائد مزيجـة فـي الرثـاء والشـكوى والمـدح والاسـتغاثة، وابياتهـا تفـيض بالعاطفـة الحارة الصادقة وهي سمة مميزة لقصائد هذه الفترة، و شعرها فيه كثير من طبيعة المرأة في ضعفها وحاجتها الى الحماية وطلب الغوث والشكوى.

ومن الموضوعات الجديدة الاخرى: وصف حال الاخرين وطلب العون لهم، فالشاعر عباس بن ناصح الثقفي الذي رحل مع ابيه الى المشرق ونال حظاً وافراً من العلم، وعند عودته تولى القضاء في الجزيرة الخضراء في عهد الحكم الربضي، وقد اشـتهر بالشـعر كعـالم ومـؤدب وكـان لـه ديـوان مفقـود، وقصـائده تـدور عـن المـدح والحماسـة والفخـر والزهـد، ومـن شـعره قصـيدة يطلـب الغـوث والمسـاعدة لـوادي الحجارة بعد نزل به وسمع امرأة تشكو أهمال الدولة وشدة الاعداء قوله:

---

[1] نفح الطيب ١ : ١٤٥ ، القعساء : الثابتة .

[2] المصدر نفسه : ٢ : ٤٣٨ .

تملمت في وادي الحجارة مسهراً اراعي نجوما ما يردن تغيرا
اليك ابا العاصي نضيتُ مطيتي تسير بهم سارياً ومهجرًا
تدارك نساء العالمين بنصرةٍ فانك اهل أنْ تغيث وتنصرا[1]

وكان شعره ذات سمات بدوية واضحة، قليل الصقل كثير الخشونة.

اما الشوق والحنين: - فقد غلب على الشعراء الذين هاجروا من المشرق ولاسيما الشام ولعبد الرحمن الداخل ثلاث مقطعات في الشوق الى ديار الشام عندما راى نخلة مفردة في الاندلس فهاجت شجنه وتذكر بلده، قائلاً:

تبدتْ لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بارض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت: شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن اهلي
نشأت بارضٍ أنتِ فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزنِ من صوبها الذي يسح ويستمرى السماكين بالوبل[2]

ويلاحظ الحاح الشاعر على الفاظ الفراق، المنتأى، البين، الاقصاء التغرب، النوى، الافتراق، وانشطار بين المشرق والاندلس و عن عمق المرارة التي يعانيه بنغمة أسية حزينة لارتباطها بذكريات مؤلمة، كما برع الشاعر في التركيز العاطفي وتشخيص النخلة باعطائها مشاعر انسانية حية ومشاركة وجدانية فيما يسمى بالعلاقة النفسية المتبادلة.

ثانياً: القرن الثالث للهجرة:

[1] نفح الطيب ١ : ١٦١ ،واخباره ، ينظر : بغية الملتمس : ٢٧٦ ، النفح ١ : ٤٤٥ . ، وبغية الوعاة للسيوطي : ٢٧٦ ، المغرب : ٢٥٣ ، الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ١٠٥ .
[2] للمزيد ينظر : النفح ٢ : ٤٢ ، ٣ : ٥٤ ، الجذوة : ١٠ ، الحلة السيراء : ١ : ٢٦ ، البيان المغرب ٢ : ٨٩ ، الادب الاندلسي : ٩٣ ، احمد هيكل ، الادب الاندلسي : ٦٦ ، منجد .

حكم في هذه الفترة أربعة أمراء، عبد الرحمن الاوسط وابنه محمد ثم حفيداه المنذر وعبد الله، واتسم حكمهم عدا المنذر بطول فترتها[١] وكثرة الصراعات الداخلية والخارجية [٢] وقطع اشواط كبيرة نسبياً في التقدم الاجتماعي والثقافي ولاسيما في فترات الهدوء النسبي، وكان من أهم العوامل المؤثرة في التغيير الاجتماعي، قدوم المغني والموسيقي زرياب من الشرق الى الاندلس، وإنشاؤه مدرسة لتعلم الموسيقى والغناء، وصار مثالاً للاناقة، وقدوة في الزي واللطافة وكيفية الأكل ونقل اليهم كثيراً من طرق الطهي وتصفيف الموائد وقص الشعر وترتيب المنزل، وهو الذي أحل العود ذي الاوتاد الخمسة محل الاوتاد الثلاثة، فشاع الترف والتأنق والشغف بالموسيقى والغناء والتمادي في احيان كثيرة الى اللهو والمجون وشرب الخمر نتيجة كثرة الكروم والتسامح في عصرها وكثرة الجواري ووفرة الغلمان من الصقالبة وغيرها، فتولدت شخصية اندلسية متمدنة محبة للترف والغناء والشرب والاناقة والمبالغة فيها واستمرارها الى العصور التالية [٣].

اما الحالة الثقافية: فقد كانت هناك وثبة كبيرة في السير نحو الامام نتيجة تعلق الامراء بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة، فقد كان عبد الرحمن الاوسط محباً للمطالعة ومقرباً للعلماء وباعثاً في طلب الكتب من الامصار المختلفة [٤].

وشاركه في ذلك بقية الامراء والقادة الذين تمردوا عليهم، وظهرت طلائع العلماء الاندلسيين في العلوم العقلية والفلسفية مثل ابن مسرة والمؤرخ عبد الملك بن حبيب والعالم الفلكي والشاعر عباس بن فرناس الذي استنبط صناعة الزجاج من

---

[١] حكم عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) وابنه محمد(٢٣٨-٢٧٣ هـ) والمنذر (٢٧٣-٢٧٥ هـ) وعبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ) .

[٢] من هذه الصراعات ، الفتنة بين المضرية واليمنية في تدمير ، وحركة الاستشهاد التي قام بها المسيحيون وهجوم نورماند مرتين وتمردات القبائل في سرقسطة ومارده ... وثورة المولدين بقيادة عمر بن حفصون الذي اعتصم بجبل بربشتر ودامت سنين طويلة ، لمعرفة التفاصيل ، ينظر : البيان المغرب ٢ : ١٨٠ وما بعدها .

[٣] للتفاصيل يرجى مراجعة النفح : ٢ : ١٠٩ ، المطرب : ١٤٧ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٦٨ ، الادب الاندلسي : ١٢٠ ، هيكل .

[٤] النفح ١ : ١٦٢ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٥٨ .

الحجارة واخترع الآلة المعروفة بالمثقال لمعرفة الاوقات، وحاول تطبيق اسطورة ايكاروس في الطيران بصنع جناحين له والطيران الى مسافة[1] مع ظهور طبقة كبيرة من المؤدبين وكان للشرق صداه في الشعر الاندلسي بظهور الاتجاه الحديث في الشعر مع المحافظة على الاتجاه القديم ويمكن تصنيف اغراضهم الشعرية المميزة الى: -

١- **النقائض:** - وقد كان لشعر الذي انتشر في الحكم الاموي في المربد بين جرير والفرزدق والاخطل ونمو الحركة الشعوبية في العهد العباسي اثره في الاندلس لتوفر البيئة الملائمة من التقليد والصراع المرير الذي كان بين العرب والمولدين من الاسبان الذين دخلوا الاسلام، ووصلتنا أبيات كثيرة طويلة تصور ذلك الصراع، ويبدو ان بعضها اشبه بالنقائض يفتخر فيها الشاعر بقومه ويرد على شاعر اعدائهم وربما كانت قصيدة الرد من البحر والقافية نفسيهما ومن هذه القصائد أبيات لقصيدة للشاعر سعيد بن جودي السعدي صاحب سوار بن حمدون متولي رئاسة العرب في الجنوب الذي تغلب على اعدائه من المولدين في مدينة البيرة حتى يقال إن قتلاهم في تلك الوقعة بلغ اثنى عشر الفا ومن أبياته[2].

قصـــرنا علـــيهم والرمـــاح تنوشـــهم كوقـع الصياصـي تحـت وهـج القسـاطل

فلـم يبـق مـنهم غيـر عـان مصـفد يقـــاد اســيراً موثقــاً فــي السلاســل

واخــر مــنهم هــارب قــد تضــايقت بـــه الارض يهفـو مـن جـوى وبلابـل

وكان لكل من العرب والمولدين شعراء خاصة بهم يدافع عن قومه من أجل رأيهم ويحرضهم على القتال فكان الشاعر العبلي واسمه عبد الرحمن بن احمد شاعر المولدين والمحامي عنهم والشاعر محمد بن سعيد بن مخـارق الاسدي، شاعر العرب.

---

[1] للتفاصيل ينظر : تاريخ الفكر الاندلسي : ١٩٣ ، فصول في الادب الاندلسي : ١٣٧ .

[2] المقتبس : ٥٧-٦٠ ، فصـول فـي الاب الاندلسـي : ٩٥ ، الصياصـي ومفـرده صيصـة : شـوكة الحائك او قُرن الحيوان ، القساطل : الغبار الساطع في الحرب .

٢- **وصف المعارك الحروب:** فقد سجل الشعر قصائد كثيرة في معارك بين الامراء والخارجين عنهم، وما احرزه هؤلاء من انتصارات ضمن قصائد مدحية ومن ذلك قول

عباس بن فرناس في حملات الامير محمد: [١].

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحفِ لهوم الفلا عَبلِ القبائل ملتفِ

اذا أومضت فيه الصوارم خلتها بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي

كأنّ ذرى الاعلام في مَيَلانها قراقير في يمّ عجزنَ عن الجدفِ

وان طَحنتْ اركانها كان قطبَها حجا ملكِ نَدْبٍ شِمائله عفِ

سمى ختام الانبياء محمد اذا وُصف الاملاك جَّل عن الوصف

ولم يقتصر الشعر المدحي ووصف المعارك على الامراء فقد توجه قسم من الشعراء الى الرؤساء المنفصلين عن حكومة قرطبة في ظهور واضح لاسس البلاطات الادبية الاقليمية ومن ذلك قول ابن عبد ربه الاندلسي في ابراهيم بن حجاج المستقل باشبلية [٢].

ألا إنّ ابراهيم لُجَّةُ ساحل من الجود ارستْ فوق لجة ساحلِ

فاشبلية الزهراء تزهي بمجده وقرمونة الغراء ذات الفضائل

اذا ما تحلتْ تلك من نور وجهه غدت هذه للناس في زيّ عاطل

ومن الاغراض القديمة التي في نشوة ومراح
تفاعلت مع البيئة الجديدة الخمريات
والمجونيات وشعر الطبيعة اضافة
الى الزهديات والهجاء ولنا في ذلك

---

[١] الادب الاندلسي : ١٣٧ ، هيكل ، لهوم : ملتهم ، القبل : الضخم ، القراقير: السفن الكبيرة .
[٢] القصيدة كاملة في المقتبس : ٤ ، الادب الاندلسي : ١٣٨ ، هيكل .

قـول المطـرف بـن عبـد الـرحمن
الاوسـط فـي مجونياتـه: [1]احيـي
اللـــــــــــيالي ســـــــــــهداً

ولســـــتُ اسمـــــع مـــــاذا يقـــــول داعـــــي الفـــــلاح

وقول الامير عبد الله في زهدياته: [2].

يـــا مَـــنْ يراوغـــه الاجـــل حتّـــام يلهيـــك الامـــل
حتـــام لا تخشـــى الـــردى وكـــانه بـــك قـــد نـــزل
اغفلـــتَ عـــن طلـــب النجـــا ة ولا نجـــاة لمـــن غفـــل
هيهـــات تشـــغلك المُنّـــى ولا يـــدوم لـــك الشَّـــغَل
فكـــان يومـــك لـــم يكـــن وكـــأن نعيـــك لـــم يـــزل

ومن خلال دراسة هذه الابيات والابيات الاخرى يتضح ان اسلوبهم يميل الى التفصيل واحياناً الى القص وتتشيع فيه روح الدعابة والسخرية والفكاهة في الموضوعات اللاهية، والكآبة والمرارة في الموضوعات الجادة ومن ابرز الشعراء في ذلك القرن يحيى الغزال وشاعر الهجاء واللغوي محمد يحيى القلفاط [3].

يحيى الغزال (٢٥٠هـ)

---

[1] النفح ١ : ٣٢٩ .
[2] البيان المغرب : ٢ : ٢٣٢ .
[3] لمعرفة سيرة القلفاط وشعره : ينظر الادب الاندلسي : ١٧٦-١٨١ ، احسان عباس

يحيى بن حكم الغزال، من مدينة جيان الاندلسية، واسرته في اصلها تنتمي الى قبيلة بكر بن وائل، وقد لقبه الامير عبد الرحمن الاوسط بلقب الغزال عندما دخل عليه ذات يوم فحياه بقوله:

" جاء الغزال بحسنه وجماله "

وطلب اليه أن يجيره فقال "

قـــال الاميـــر مـــداعباً بمقـــــاله جـــاء الغـــزال بحســـنه وجمالـــه

ايـن الجمـال مـن امـرئ اربـى علـى متعـــــدد السـبعين مـــن احوالـــه

وعمر طويلاً تجاوز مئة سنة، ويظهر ذلك من ما نسب اليه:

ومـــالي لا أُبلـــى لتســـعين حجـــة وســبع أتـــتْ مـــن بعـــدها ســـنتان

فتكون ولادته في حدود سنة (١٥٠هـ).

فقد كان متفاعلاً مع احداث عصره السياسية، والاجتماعية، وجاءت اشعاره لتصور لنا حياته بكل ابعاده، وان اكثر ما يرد من اشعاره يقترن به بعد تجاوز سن الخمسين، اما اشعاره التي تصور شبابه فلم تصلنا منها شيئاً.

ومن هذه الاحداث: (معرفة حياة الشاعر من خلال شعره).

١- قبضه اعشار الغلال في زمن عبد الرحمن الاوسط، وتصرفه بها، فادى به ذلك الى السجن وفيه نظم قصيدته البائية التي يستعطف فيها الامير، ويطلب العفو منه: منها:

إنْ تَـــرد المـــالَ فـــانى إمـــرؤ لـــم اجمـــع المـــال ولـــم اكســـبِ

اذا اخـــذتَ الحـــق منـــي فـــلا تلتمـــــس الربـــــح ولا تزَغـــــبِ

قـــد احســـن الله الينـــا مـــعاً إن كـــان رأس المـــالِ لـــم يـــذهبِ

٢- سفارته الى بلاد النورماند الشمالي عن الامير الاندلسي، قيل القسطنطينية، واينما صحت الرواية فان الشاعر وصف لنا رحلته في ابيات عدة منها:

قـــال لـــي يحيـــى وصـــرنا بـــين مـــوج كالجبـــال

شـــقتَ القلعـــين وانبـــت عُـــرى تلـــك الحبـــالِ

وتمطـــى مَلـــك الـــمو ت الينـــا عـــن حَيـــالِ

فراينـــا المـــوتَ رأي الـــ عـــينِ حـــالاً بعـــد حـــالِ

لـــم يكـــن للقـــوم فينـــا يارفيقـــي رأسُ مـــالِ

والأبيات مثال جيد على وصف الرحلة في البحر.

وهنالك أبيات تصور لنا تفاصيل زيارته كما جاءت من تلك الروايات وقد لا نجزم بصحتها منها: فهو يرفض وأعضاء سفارته الركوع للملك ويخاطب الملك بالشجاعة، ويحدث زوجته بأحاديث عن سير المسلمين وأخبارهم وبلادهم ومن تلك الاشعار:

بَكَـرتْ تُحَسّـن لـي سـواد خضـابي فكـأن ذاك أعـادني لشـبابي

ما الشيبُ عندي والخضاب لواصفٍ إلا كشمـس جلَّلـتْ بضـبابِ

تخفـى قلـيلا، ثـم يقشُـعها الصَّـبا فيصـير مـا سـترت بـه لـذهابِ

لا تنكـري وضـحَ المشـيبِ فانمـا هـو زهـرة الافهـام والألبـابِ

٣- بعد عودته من سفارته، رأى ان زرياب يتمتع بنفوذ كبيرة عند الامير، فيدخل في خصومة معه تؤدي بالغزال الى الرحيل عن الاندلس الى المشرق، هنالك يلتقي بتلاميذ أبي نواس ويرى ما هم عليه من تهوين للشعر الاندلسي وشعرائه، حتى اذا صار الحديث عن أبي نواس الشاعر المبجل لديهم، قال لهم منكم مَنْ يحفظ قصيدته:

ولمـا رأيـتُ الشَّـرب أكـدَت سـماؤهم تأبطـتُ زقـي واحتسـبت عنـائي

فلمـا اتيـتُ الحـانَ ناديـتُ ربّـه فهـبَّ خفيـف الـروح نحـو نـدائي

قليـل هجـوع الليـل إلا تعلـةً علـى وجَـل منـي ومـن نظرائـي

فقلـتُ، اذقنيهـا فلمـا أذاقنـي طرحـت اليـه ريطتـي وردائـي

فأعجبوا بها كثيراً وذهبوا في مدحها، فلما أفرطوا قال لهم: هذه الأبيات لي وانشد قصيدة مشابهة لهم والقصيدة معارضة لقصيدة مشهورة لأبي نواس.

ديوانـه:

اشتهر يحيى الغزال في الاندلس ومنذ عهد مبكر، ويقال كان له ديوان جمعه حبيب بن احمد الشطجيري حسب ما جاء في جذوة المقتبس إلا أنه فقد، وقام د. حكمت الاوسي بجمع اشعاره بعد ان فقد معظمه، فاجتمع عنده ما يناهز ثلاثمائة بيت جاءت في ملحق كتاب" فصول في الادب الاندلسي "واستدرك عليه هلال ناجي خمسين بيتاً فاصبح المجموع ثلاثمائة وخمسون بيتاً كما قام د. احسان عباس بجمعه في كتيب مستقل، ومعظمها يدور بعد وصول عمره الى اكثر من خمسين سنة، ومن موضوعاته الشعرية:

١- **المديح:** عاصر الملوك واختلط بهم، ومدحهم، ولم يصلنا من ذلك إلا قصيدة يستعطف بها عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ) ومن أبياته:

مَـنْ مُبلـغٌ عنـى إمـامَ الهـدى الـوارثَ المجـدِ ابـاً عـن ابٍ

واصـبح المشـرقُ مـن شـوقهِ اليـكَ قـد حـنّ الـى المغـربِ

مِنبُـره يهتـف مـن وجـده اليـك بالسـهل وبالمرحـبِ

٢- **الحكمة والزهد:** له سبع عشرة قطعة في هذا الموضوع تصور حياته الاخيرة ويصدر عن حكمة بالغة وتجربة محنكة، يظهر فيها عزوفه عن الملذات والمتع ثم يدعو الى العمل الصالح وعن تجربته في الحياة ومن أبياته:

تسألني عن حالتي أم عمـرْ

وهي ترى ما حلّ بي من الغبرْ

اربدّ مني الوجه وابيض الشعر

وصار رأسي شهرةً من الشهرْ

فانظر إلي واعـتبرْ ثم اعتبرْ

فـانّ للحليـم في معتبرْ

٣- **نقد المجتمع:** يكشف عن العيوب المستشرية، ويوجه سهامه لهؤلاء الذين انحرفوا عن جادة الصواب باسلوب المبالغة، يعالج فيها الرياء، ويسوء ظنه بالناس ويؤكد على الاعمال الصالحة، والرزق الحلال، وله مقطوعة يسخر من قيم الناس التي تفرق بين بني الناس حياً وميتاً وله:

أرى اهـــل اليســـار اذا تـــوفوا بنـــوا تلـــك المقـــابر بالصـــخور

أبـــوا إلا مبـــاهاةً وفخـــراً علـــى الفقـــراء حـــتى فـــي القبـــور

ألمـــا يبصـــروا مـــا خرّبتـــه الـــد هـــور مـــن المـــدائن والقصـــور

لعمـــر أبيهـــم لـــو أبصـــروهم لمـــا عُـــرف الـــغني مـــن الفقيـــر

ولا عرفـــوا العبيـــد مـــن المـــوالى ولا عرفـــوا الانـــاث مـــن الـــذكور

اذا أكـــل الثـــرى هـــذا وهـــذا فمـــا فضـــل الكبـــير علـــى الحقيـــر

وله مقطعات بسوء الظن بالنساء لا سيما أنه وصل الى مرحلة متقدمة من العمر قوله:

إنْ الفتـــاة وإنْ بـــدا لـــك حُبَهـــا فبقلبهـــــــا داء عليـــــكٌ دفـــــينُ

هـــذا كـــلامٌ لســـــتُ اقبلـــهُ الشيـــــخ لـــــيسَ يحبـــهُ احـــدُ

وله كذلك صيغة حوار بين اب وابنته يخير ها في الزواج بأحدالرجلين، شيخ غني وفتى فقير:

وخيرّهـــا ابوهـــا بـــين شيـــخ كثيـــر المـــال او حـــدثٍ فقيـــر

فقالـــت: خطتـــا خســـف ومـــا ان ارى مـــــن خطـــــوة للمســـــتخير

ولكـــن إنْ عزمـــتَ فكـــل شـــيء احـــبّ إلـــيّ مـــن وجـــه كبيـــر

لان المـــرء بعـــد الفقـــر يثـــرى وهـــذا لا يعـــود الـــى صـــغير

٤- **الغزل والمجون:** له عشر قصائد، واشهرها همزيته التي تقترن برواية رحلته الى المشرق، والارجح ان القصيدة نظمت لاظهار الباع والمقدرة الفنية، ومن الغزل الماجن له قصيدتان، كما له قصيدة ثالثة في ذقاء وعفاف فيها اشواق ووجد بعد أن شتت الدهر شملها منها:

أقـرِ الســـلامِ علـــى إلـــف كـــلفتُ بـــه قد رمتُ صبراً وطول الشوق لم يرمِ

كنـــا كروحـــين فـــي جســـم غـــذاؤهما مـــــاء المحبـــة مـــن هـــام ومنســـجم

ففـــرق الـــــدهر شمـــلاً كـــان ملتئمـــاً منـــــا وجمـــع شـــملاً غيـــر ملتـــئم

اشكـــــو الـــى الله مـــا القـــي لفرقتـــه شكـــوى محـــب ســـقيم حـــافظ الـــذمم

لـو كنـت اشكو الـى صُم الهضـاب إذن تفطـــــرتْ للـــذى أبديـــه مـــن ألـــم

الدراسة الفنية:

١- ان امتيازه في الشعر لا يعود الى مقدرته الفنية فحسب واندما الى سيرته الذاتية مثل ابن زيدون الذي اشتهر من خلال حياته قبل شعره.

٢- ميله الى القص الشعري.
٣- روح السخرية والنقد ونظراته المتهكمة في نقد المجتمع وبيان الظواهر السلبية.
٤- انعكاس ابياته الشعرية لحياته الخاصة، ولصور المجتمع السياسية والاجتماعية.
٥- له صور فذية مبتكرة مثل ما موجود في ابياته المتعلقة بالحوار بين المرأة والشيخ.
٦- الواقعية التعبيرية في الافصاح عن الواقع كما جاء حديثه عن رحلته في البحر او مقابلته للملكة " تيو دورا " في بلاد النورماند او القسطنطينية.
٧- قلة القصائد نتيجة لفقدان معظمها.
٨- ان ما وجد عنده يعود الى حياته بعد سن الخمسين لذلك غلبت عليها صفة التشاؤم والحكم والعقلنة .
٩- زهده تعبير عن رجل جرب الحياة وعرف اسرارها ويدخل ضمن زهد الشيخوخة [١]

عهد الخلافة (٣١٦ -٤٢٢هـ).

أ – القرن الرابع:

وسميّ بالعصر الذهبي، وتبدأ هذه الفترة بتبوأ عبد الرحمن الثالث مقاليد الحكم في بداية القرن ومن ثم اعلانه الخلافة سنة ٣١٦م /٩٢٩م وتلقبه بالخليفة الناصر لدين الله الى وفاته سنة ٣٥٠للهجرة ثم تولى ابنه الحكم الثاني الحكم وتلقب بالحكم المستنصر الى وفاته سنة ٣٦٦ هـ ووصى بالحكم لابنه هشام الملقب بالمؤيد،

[١] للمزيد عنه مراجعة النفح ١ : ٣٣٣ : ٤٧/٣ ، جذوة المقتبس : ٣٧٥ ، بغية الملتمس : ٥٠٠ ، المطرب : ١٣٧ ، العقد الفريد ٣ : ٥٨ ، ١٩٠ ، البيان المغرب ٢ : ١٣٩ ، فصول في الادب الاندلسي : ١١٩-١٣٢، تاريخ الادب الاندلسي ، مذجد ٦٩-٨٠ ، الادب الاندلسي ، د. احسان عباس : ١٥٧-١٧٠ .

الذي لم يبلغ الحلم، وبايحاء من امه صبح عين المنصور محمد بن ابي عامر حاجباً للصبي، فاستأثر بالحكم بعد ان ضرب خصومه واحداً بعد الآخر، ولم يبق للخليفة إلا الدعاء على المنابر وذكر اسمه على السكة والطرز وتلقب بالمنصور، وبني مدينة الزاهرة قرب قرطبة ونظم الجيش على اسس جديدة واستقدم البربر وبلغت الدولة في عهده مجدها العسكري والثقافي وتوفي سنة ٣٩٢ للهجرة وخلفه ابنه عبد الملك المظفر الذي لم يختلف عن أبيه في السياسة والبأس والقوة والعلم، وتوفي سنة ٣٩٩ للهجرة في ظروف غامضة فتولى بعده اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول، ولم يكن ذات خبرة وافتتح امره بالخلاعة والمجون وحمل الخليفة على توليه ولاية العهد، فكان فيه حتفه بعد ان ثار الساخطون وكشف المستور وكانت بداية الفتنة[1] ويرجع المؤرخون التقدم العلمي والثقافي الذي حصل في الاندلس في ذلك القرن الى النقاط الآتية: -

١- **توحيد الاندلس:** عندما تولى عبد الرحمن الناصر الحكم كانت الاندلس مقسمة والاخطار الخارجية محيطة بها، فاخضع الخارجين والثائرين كابن حجاج المستقل في اشبيلية وابن جودي المستقل في غرناطة ومن ثم الاراضي التي استولى عليها ابن حفصون، كما اخضع طليطلة التي عرفت بالثورات لكونها عاصمة القوط القديمة، اما الحدود الخارجية فقد تمكن من ردع المسيحيين الذين استقوا في الشمال في مملكتي ليون ونافار واجبرهم على دفع الجزية، وفي شمال افريقيا كانت الدولة الفاطمية وعاصمتها القيروان تتوسع وتمكنت من السيطرة على المغرب وطرد حكامها الموالين للاندلس، فعمل الناصر على ردعهم ببناء الاسطول الاندلسي وارسال جيش كبير لاسترداد ما استولى عليها الفاطميون في المغرب من فاس الى المحيط وبقيت الاندلس دولة قوية رادعة

[1] النفح ١ : ٣٩٧ ، البيان المغرب ٢ : ٣٠١ ، تاريخ ابن خلدون : ٤ : ١٤٧ ، الحلة السيراء : ٢٧٤: ، صورة المجتمع الاندلسي : ١٥ .

الـى نهايـة ذلـك القـرن، فـشاع الأمـن والطمأنينـة وارتفـع المسـتوى المعاشـي وتجمعت اموال ضخمة في البيت المال[١] وانشغل الناس بمظاهر الحياة.

٢- **النهضة العمرانية:** كان عبد الرحمن الناصر محباً للعمران ومفتونا بالبناء، ووصلت العاصمة والمدن الرئيسة الاخرى الى اوج جمالها واناقتها وعمرانها بكثرة القصور والجوامع والحدائق العامة، ووصلت عدد حماماتها سبعمئة في قرطبة و هو دليل على الر قي الاجتماعي، و شيد مدينة الز هراء في شمال قرطبة على سفح جبل العروس، ونهض ببنائها عشرة ألاف عامل لمدة خمسة وعشـرين عامـاً وكانـت الطبقـة الـدنيا فيهـا بسـاتين وحـدائق، تتوسـطهادور للمـواطنين وتعلوهـا قصـر الخلافـة وقاعتـه الكبيـرة المزدانـة باعمـدة الرخـام وحليها الذهبية، كما بني المنصور بن ابي عامر مدينة الزاهرة وتوسع في بناء المسجد الجامع ولا تزال روعته ماثلة الى اليوم على الرغم مما اقتطع منها لكاتدرائية وكنيسة[٢] وبلغ طول صحنه مائة ذراع وخمسة اذرع و عدد ابوابه تسعة وجمع فيها من الاعمدة ١٢٩٣ عموداً من الر خام و باب مقصورة الجامع من الذهب وجدار المحراب وما يليه فيه من الذهب على الفسيفساء، وارتفاع المنارة الى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعاً[٣] وقال الشاعر ابو تمام في ثرياه[٤]: -

تحكـــي الثريـــا فـــي تألقـــها وقـــد لواهـــا نســـيمٌ وهـــي تتقـــد

كأنهـــا لـــذوي الإيمـــان افئـــدةٌ مـــن التخشـــع جـــوف الليـــل ترتعـــد

٣- **ازدهـار الثقافـة:** - التحضـر والرقـي واهتمـام الحكـام بـالعلوم والبحـث العلمـي وانتشـار الأمـن والرخـاء مـن العوامـل المسـاعدة فـي التقـدم الثقـافي، وكـان

---

[١] الادب الاندلسي : ١٧٦-١٨١ ، هيكل .

[٢] لتفاصيل العمران في الاندلس ، ينظر : كتاب الفن العربي في اسبانيا وصقلية لفون شاك ، ترجمه : د. طاهر مكي ، دار المعارف ، مصر .

[٣] النفح ١ : ٥٤٠-٥٦٣ ـ صورة المجتمع الاندلسي : ١٧٤ .

[٤] الذخيرة : ٢/٣ : ٨٣ .

للخليفتين الناصر والحكم الفضل في تلك الثورة الثقافية التي عمت البلاد بتشجيع القادمين الى الاندلس من علماء المشرق وحثهم على البحث والتأليف، فقد استقبل الناصرأبا على القالي واسند اليه تأديب ابنه الحكم، اذ نقل معه مجموعة كبيرة من الكتب ودواوين الشعراء، واشتهر الحكم بولعه بالكتب وبمكتبته الغنية التي بلغت اربعمائة ألف مجلد[١] وقد وجه الف دينار ذهب الى ابي الفرج الاصبهاني لكتابه" الاغاني" قبل ان يظهره في بغداد، وكانت مجالسهم منتدى للعلماء والادباء، وفي الميدان اللغوي تأسست مدرسة للدراسات اللغوية تحت اشراف أبي علي القالي، وأَلِفَ كتبا مهمة مثل كتاب " مختصر كتاب العين وكتاب طبقات النحويين وكتاب لحن العامة وكتاب الابنية في النحو " لابي بكر الزبيدي، وظهر ابن القوطية في مؤلفاته اللغوية والتاريخية، وترك لنا كتابه " تاريخ افتتاح الاندلس " وهو يتناول تاريخ الاندلس من الفتح حتى نهاية القرن الثالث[٢] ومن الكتب التاريخية المهمة الاخرى، كتاب " اخبار مجموعة " لمؤلف مجهول، يتناول تاريخ الاندلس الى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر، وظهرت كتب التراجم مثل كتاب " تاريخ قضاة الاندلس " للخشني[٣] وكتب التفسير والحديث والفقه والفلسفة بعد انتشار روح التسامح التي سيطرت على فترة الخلافة وكتب في الطب والفلاحة والرياضيات ونشطت حركة الترجمة من الاغريقية واللاتينية، وفي مجال الادب، ظهر كتاب " الحدائق لابن فرج الجياني (٣٦٦هـ) " الذي يعارض كتاب " الزهرة " لمحمد بن داود الاصفهاني وغيرها من الكتب [٤].

الشعر في القرن الرابع

---

[١] نفح الطيب ١ : ١٨٤ ، الفهرسة لابن خير ١ : ٣٩٥ .
[٢] نشره جيانوس في مدريد .
[٣] نشر بتحقيق عزت العطار ، ١٩٥٤ .
[٤] للمزيد ينظر : الادب الاندلسي : ١٨٤-١٩٤ ، هيكل .

أ – اتجاه المحافظ المتجدد:

نتيجة للاستقرار السياسي الذي تميز به هذا القرن وظهور طبقة اجتماعية ارستقراطية محافظة متسمة بعادات وتقاليد خاصة بها بعيدة عن الاستهتار والمجون وظهور عوائل معروفة بهذا الاتجاه ومشاركة الامراء والحكام لهم اضافة الى طبقة العلماء والفقهاء، واعجاب تلك الطبقة بالاتجاه الشعري المحافظ المتجدد في الشرق، كالبحتري في موسيقاه وصوره وعنايته بالبيان وذهنية ابن الرومي في التحليل والتفصيل واستقصائه واحتجاجه ولمسات ابن المعتز في تشبيهاته المترفة وصوره المفضضة وشخصية المتنبي في المكابرة وتحليله للمشاعر، ظهر اتجاه في الشعر العربي عندهم مزيج بين القديم والمحافظ له وبين الجديد في انعكاس لصور الحياة المترفة التي عمت ذلك القرن، وقد حافظ هذا الاتجاه على النهج القديم في تركيبة القصيدة العربية والميل الى الجزالة وفخامة العبارة في اللغة، واختيار الاوزان الطويلة ذات النغم الوقور والقوافي ذات الرنين المؤثر على السمع، والبعد عن الافراط في المجون والمجاهرة به كما ظهر تأثير البيئة الجديدة على معاني الشعر وصوره في البحث عن المبتكر الرائع او الطريف الملائم لحياتهم الجديدة وعلى الاسلوب وجمالياته في تجميل الصياغة بالوان من البديع وتزيينها بالمحسنات التي تضفي على القصيدة الرونق والبهجة والالوان عن طريق المقابلة والطباق والجناس والتكرار، وهذا لا يعني جودة تلك القصائد جميعهاً فهنالك الشعر الفج الجافي والاخر السهل السائغ الواضح وهنالك التصوير المتكلف والتصوير المبدع الموفق... وتجلى هذا الاتجاه في قصائد المديح والفخر ووصف المعارك والحصون والزهد والغزل العذرى والرثاء.

أولاً: قصائد المديح ووصف المعارك والحروب:

صاحب الشاعر الامير او الخليفة في الجهاد وكانوا يسمعون الشعراء غازياً وراجعاً، وهنالك كم هائل من الشعر مزيج بين المدح ووصف المعارك والاشادة

بالانتصارات والاعتذار عن الانكسارات، ومن ذلك قول صاعد البغدادي مهنئاً المنصور محمد بن ابي عامر في غزوة جربيرة سنة ٣٩٠ للهجرة [١].

جَـددتُ شُـكرى للهـوى المتجَّـدد وعَهـدِتُ عنـدكَ منـه مـا لـم يُعْهَـدِ

اليـومَ عـاشَ الـدينُ وابتـدأ الهـدى غضّـاً وعـاد المُلـكُ عـذبَ المـوردِ

ووقفـتُ فـي ثـاني حنـينٍ وقفـةً فـرايتُ صُـنعَ الله يُؤخَـذُ باليـدِ

مَـن فـاتهَ بـدرٌ وادرك عُـمرُهُ جربيـرَ فهـو مـن الرعيـل الاسـعدِ

فـوددتُ لـو حـتمَ الـقضاء بـأنني فـي القـوم أوَّلُ طـالعٍ مستشـهدِ

فمـا اسـتكينُ لورعـةٍ، ومحمـدٌ وبنـوه انصـار النبـي محمـدِ

عهـدي بـهِ، والله يـنظر صـبره والمـوتُ بـين مُصَـوبٍ ومُصَـعد

غطـى عليـه المشـركون فلـم يكـنْ فـي القـوم إلا صـخرةً فـي فَدْفـدِ

حتـى تَحَصَّـنَ بالمـلائكة التـي حفّتـه بـين معفـر ومـردد

وتخلل هذا اللون من الشعر وصف الخيل والسفن الحربية والات الحرب من الرماح والسيوف والمنجنيق، ومن ذلك وصف الشاعر الرُمادي للسفن[٢]: -

والسّـفن قـد جللهـا كأنـها اعـراء حبشـان

كأنهـا فـي دار مضمـارها خـيل يصـنّعن لميـدان

كأنهـا والمـاء ميـدانها فـي الـجو منقضـة عقبـان

تـرى المقـاذيف باحنـائها كأنمـا ترمـى بنيـران

لـذلك تمشـي مشـي صـاحٍ فلـو جـاوزَ امسـتْ شـبه نشـوان

---

[١] اعمال الاعلام : ٧٢-٧٣ ، الادب الاندلسي : ٩٤ ، احسان عباس .

[٢] القصيدة كاملة في كتاب التشبيهات : ١٧٩ .

واذا كان الشاعر الجاهلي يصف الرحلة في البر لبيان المشقة للوصول الى الممدوح فان الشاعر الاندلسي وصف الرحلة في البحر، وتردد كثيراً في قصائد يحيى الغزال وابن دراج القسطلي، كقوله: [1]

علـى لجـج خضـرٍ اذا هبـت الصَّـبا ترامـــــى بنـــا ثبيـــر وثهـــلان

اذا غـيضَ مـاء البحـر منهـا مددنـه بـــدمع عيـــون يمتـــريهن أشـــجان

وان سـكنتْ عنـا الريـاح جـرى بنـا زفيـــر الـــى ذكـــر الاحبـــة حنـــان

وفي هذا القرن ظهر ما يمكن ان نسميته بـ " شعر الوفود او الشعر الدبلوماسي " فقد صور الشعر عظمة الدولة وقوة الخلافة، وفصل في وصف الوفود التي كانت ترسل الى قرطبة، مثل وفد امبراطور الروم الى عبد الرحمن الناصر، يقول في ذلك منذر بن سعيد[2]

تـرى النـاسَ افواجـاً يؤمـون بابـهَ وكلُّـــــهم مـــا بـــين راج وآمـــل

وفـود ملـوك الـروم وسـط فنائـهِ مخافـــــة بـــأس او رجـــاء لنائـــل

فعـش سـالماً اقصـى حيـاة مـؤمَّلا فانـــتَ رجـــاء كـــل حـــافٍ وناعـــل

سـتملكها مـا بـين شـرق ومغـرب الـــى درب قســطنطين او ارض بابـــل

كما ان امراء الاسبان الشماليين المسيحيين كانوا يفدون الى العاصمة الاندلسية خاضعين او طالبين العون، ومن ذلك قدوم الامير الاسباني " اردون " طالباً العون وفي ذلك يقول عبد الملك بن سعيد[3]:

هـــذا امـــيرهم أتـــاه آخـــذا منـــه أواصـــر ذمـــة وحبـــالِ

متواضـــعاً لجـــلاله متخشـــعاً فـــي مأمـــن لمّـــا يُـــرَع بقتـــالِ

---

[1] ديوانه ق : ٤٤ .
[2] النفح ١ : ١٧٤ .
[3] المصدر نفسه.

ســـينال بالتأميـــل للـــملك الرضـــا عـــــزّاً يعـــــم عـــــداه بـــــالإذلال

لا يـــوم اعظـــم للـــولاة مســـــرة واشـــــده غيظـــــاً علـــــى الاقبـــــالِ

مـــن يـــوم " اردون " الـــذي اقبالـــه أمـــــل المـــــدى ونهايـــــة الاقبـــــالِ

ومن أبرز شعراء المدح في ذلك العصر: -

ابن هاني وابن دراج القسطلي

ابن هاني الاندلسي (٣٢٦-٣٦٢هـ):

هو ابو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي[١] وكان ابوه من قرية المهدية في شمال افريقيا، ويقول ابن خلكان " انه كان شاعراً اديباً: فانتقل الى الاندلس، فولد له محمد المعروف بابن هاني في قرية قريبة من اشبيلية، فنشا بين اشبيلية وقرطبة والبيرة نشأة ادبية شعرية، حافظاً لاشعار العرب واخبارهم، اتصل بصاحب اشبيلية وحظيّ عنده ومن ثم نصحه بمغادرة الاندلس فهاجر الى المغرب وعمره سبعة وعشرون عاماً ويذكر بعض اصحاب التراجم في سبب هجرته، أنه كان متهما بالفلسفة وكثير الانهماك في الملذات ولكن الفلسفة في زمنه لم تكن تهمة تؤدي الى المطاردة لوجود نوع من التسامح، والانهماك في الملذات كان شائعاً والارجح أنه طرد لتمذهبه الاسماعيلية واتصاله بالدعوة الفاطمية لان مجتمع الاندلس كان عندهم غلو شديد على المذهب المالكي وان الشافعية والشيعية والظاهرية كانت غير مقبولة عندهم، واتصل في شمال افريقيا بالقائد جوهر الصقلي ومدحه ثم اتصل ببعض الولاة ونال جوائزهم حتى وصل خبره الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله فطلب ان يتوجه اليه، فسار اليه وكانت له فيه اشعار قوبلت بالتقدير ورجع الى المغرب لاخذ عياله وفي برقة في ليبيا انتهت حياته وقضيّ عليه، وفي ذلك روايات عدة منها إنه عربد في مجلس انس وقتل، وقيل أنه خرج ثملا فوقع في الطريق ومات وقيل وجد في ساقية مخنوقاً بتكة سرواله والارجح انه قتل من قبل المناهضين للفاطميين [٢].

شـــعره:

---

[١] ينظر في ترجمته واخباره : جذوة المقتبس : ١٥٧ ، المطرب : ١٩٢ ، التكملة رقم ٣٥٠ ، الاحاطة : ٢ : ٢١٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٥ ، والنفح ٢ : ٢٦٤ ، والمطمح : ٨٤ ، مقدمة ديوانه ، تحقيق : كرم البستاني ، الادب الاندلسي :١٣٣ هيكل ، دفاتر اندلسية :٧٠١ يوسف عيد ... .

[٢] الادب الاندلسي : ٢٣٤ ، هيكل .

له ديوان مطبوع وهو اقدم شاعر اندلسي له ديوان ولا يمثل شعره جميعاً لان علماء الدين هم الذين قاموا بجمع قصائده المدحية، و هو يمثل الجانب المذهبي من شعره عندما هاجر الى شمال افريقيا، وهو شاعر فحل له لون خاص متميز استسقى دربته وصنعته من فحول شعراء العباسيين وتطبّع بشخصيته الحادة الشديدة ومذهبه السياسي الفاطمي، وكان معجباً بالمتنبي لذلك سميّ بمتنبي الاندلسي وكان مثله يفرط في المغالاة، ويتغزل بالبدويات الحسان غزلاً ضعيف العاطفة، قوي العاطفة الدينية، الفاظه قوية فيها الجلبة والقعقعة واجاد في وصف السفن وتأثير وقع نيرانها على العدو، وهو شاعر المديح الاول في ذلك القرن ومعظم قصائده في الخليفة الفاطمي معز لدين الله، وفيها حدة ومبالغة غير مقبولة[١]:

هـو علـة الـدنيا ومـن خلقـت لـه ولعلـــةٍ مـــا كـــانت الأشـــياء

وافكاره مستنبطة من فكرة الامامية عند الاسماعيلية والتي هي ركن من اركان الدين عندهم والامام عنده اكمل مخلوقات العالم جسداً وروحاً وهو جامـع للفضائل والخيرات ومنبعها، فجسده برئ من كل عيب، وروحه سالم من كل نقصان[٢].

فـــرغ الإلـــه لـــه بكـــل فضـــيلة أيـــامَ أيـــاتِ الكـــتاب تُفصَّـــلُ

وفي سلطانه واعتقاده بالحلولية في جعل الخليفة إلها: - [٣]

مـــا شـــئت لا مـــا شـــاءتْ الاقـــدار فـــاحكمُ فانـــت الواحـــد القهـــار

سمات شـــعره:

أ ــ قصائده المدحية:

١- حاد في صوره الشعرية وفي الفاظه وعباراته يؤثر ها فخمة جزلة ذات جرس عال ورنين واضح مما يدفعه الى الصخب والقعقعة والاتيان بالغريب[١] لذلك

---

[١] ديوان :٥

[٢] ديوانه : ٢٨٤ ، دار صادر ، بيروت .

[٣] نفسه : ١٤٦ .

شبهه ابو العلاء المعري: " برحى تطحن قرونا من اجل القعقعة"، فاكثر من ترديد الفاظ السيف والرماح والقوة .

كما في مطلع قصيدته [٢].

اصاخت فقالت: وقعُ أجردَ شيظم وشامتْ فقالت: لمعُ البيضَ مخذمِ

وما ذُعرتْ إلا لجرس حُليِّها ولا لمحتْ إلا برُى مِن مُخذَّمِ

٢- طويل النفس الشعري: وقليل منها لا تزيد على السبعين، ومن ذلك قصيدة له في المعز لدين الله قوله: [٣].

لكمُ دولة الصدقِ التي لم يَقُم بها نُتَيْلةٌ، والأيام هوجٌ، ركائك

إماميةٌ لم يُخزِ هارونَ سعَيها ولا اشرَكتْ بالله، فيها البرامك

تُرَدُّ الى الفردوس، منكم ارومةٌ يصلي عليكم ربُّها والملائك

ولو عَلِقَتْهُ من اميةَ أحْبُلُ لَجُبَّ سنامٌ من بني الشعر تامك

بني هاشم قد انجز الله وعدَهُ واطلَعَ فيكم شمسَهُ، وهي دالك

٣- عاطفة دينية قوية: يتضاءل عمل العقل معها في اعتقاده بالحلولية الالهية في الخليفة الفاطمي.

٤- لم يكن له حظ كبير من الاختراع والتوليد إلا قليلا، وانما يعتمد على معاني القدامى وصورهم، وهذا يثبت كثرة المامه بالشعر القديم.

٥- اوزانه طوال ذات التفاعيل الكثيرة، واكثرها من الطويل والبسيط والكامل، وقوافيه فخمة التي تملأ الفم وتزحم السمع، وهي موسيقى تتناسب حالة الصراع الذي كان قائماً آنذاك.

---

[١] وفيات الاعيان : ٢ : ٥ .

[٢] ديوانه : ٣١٣ ، اصاخت : اصغت ، الشيظم من الخيل : الطويل الجسم ، شامت : تطلعتْ ، المخذم : السيف القاطع ، بُرى : حلقة سوار وقرط او خلخال .

[٣] ديوانه : ٢٤١-٢٤٨ .

ب – الوصـف: -

وصف ابن هاني جيوش الدولة واساطيلها وخيولها ومعاركها والابطال الذين قادوا تلك المعارك [١]وسار على نهج القدامى في الاستهلال بالغزل ووصف الرحلة ومن ثم الانتقال الى الممدوح ووصف خصاله وقرائن تفوقه، كما وصف ما كان يلفت انتباهه، ويحرك خياله وشاعريته فوصف الازهار والورود وفي الورد يقول: [٢].

الـورد فـي رامشـنةٍ مـن نـرجسٍ والياسمـين وكلهـن غريـب

فـاحمر ذا واصـفر ذا وابـيض ذا فبـدت دلائـل وامـرهن عجيـب

فكـأن هـذا عاشـق وكـأن ذا ك مُعَشَّـق وكـأن ذا رقيـب

وصف الخمر ومجالسها وحاناتها فمن قوله: [٣].

ويغـرسُ اللؤلـؤ فـي العقيـق كـأنّ دُرَّ ثَغـره الانيـق

أُلـف مـن حَبابهـا الفريـقِ او زلّ عـن فيـه الـى الابريـق

مازلـت أُسـقي غيـر مسـتفيق حتـى رايـت النجـم كـالغريق

وله قصائد في وصف الخيول والابل[٤] والنجوم والقمر[٥] وكان واقعياً في التقاط صوره وما يقع تحت نظره وبلغت انتباهه، فوصف لنا رجلا اكولا [٦].

ج – الغزل:

ابن هاني انسان له مشاعر وعواطف، ولم يفلت من عقال المرأة وفسح لهن طرفا من شعره، ومن ذلك وصفه لجانب من مغامراته العاطفية[١].

---

[١] ديوانه : ٣٣١ .
[٢] ديوانه : ٥٨ .
[٣] ديوانه :٢٣٨ .
[٤] ديوانه : ١٥ ، ١٩ ، ٣٥٣ .
[٥] نفسه : ٢٧٠ .
[٦] نفسه : ٣٧٦ -٣٧٧ .

عبـــراتٌ تحثهـــا زفـــــراتُ هـــنّ عنـــــه بألســـــن ناطقـــات

أضُـــم عليهـــا أضـــلُعي وكـــأنها مـــن الـــذُّعر نشَـــوى او تطرّقهـــا لمـــمْ[٢]

و هو يصف محاسن حبيبته، قدودها الجملية وانامله وما يفتر في نفسه من العواطف[٣]وله قصيدة في الفخر تصور نفسيته الأبية قائلاً[٤].

ومّمـــا أعـــانَ علـــيّ الزمـــانّ عفـــافُ يـــدي وعُلُـــوُّ الهِمَـــمِ

فـــلا بـــالعَجوُل ولا بـــالمَلولِ ولا بالسَّـــــؤول ولا المغُتَـــــنم

وإنـــي وإنْ تَرنـــي قابضـــاً جناحـــي إلـــيّ كظيمـــاً وَجِـــم

أقلـــل مِـــنْ هفـــوات المـــزار وأُبـــدي الغنـــاءَ وأُخفـــي العَـــدَم

فـــأني مـــن العـــربِ الأكـــرمين وفـــي اول الـــدهرِ ضـــاع الكـــرم

ويمكن القول أنه كان شاعراً فحلاً، لم ينصفه النقاد القدامى، وقع بين رحى الصراع المذهبي الموظف لأهل السلطة، ولو عمرّ أكثر لكان شاعراً من الطبقة الأولى الشاعر: ابن دراج القسطلي (٣٤٧- ٤٢١هـ)

هو أبو عمر احمد بن محمد بن العاصي بن دراج ويلقب بالقسطلي، وقسطلة بلدة تابعة لجيان، وتنتمي قبيلته الى صنهاجة البربرية، ولد سنة ٣٤٨ للهجرة وعاش صباه وطفولته في عهد الحكم المستنصر المولع بالكتب والمدارس، فادرك نصيبه من العلم والمعرفة ولم يصلنا من قصائده الاولى، واقدم قصيدة وصلت الينا في مدح المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٢ للهجرة ومطلعها: [٥]

أضـــاء لهـــا فجـــر النهـــى فنهـــاها عـــن الـــدنف المضـــنى بِحـــرِّ هواهـــا

---

[١] نفسه : ٦٠ .و ٨ : نفسه : لمم : الجنون .

[٢] نفسه : ٣٤٥ ، لمم : جنون .

[٣] ديوانه : ٣٤٥ .

[٤] نفسه : ٣٣٤ .

[٥] ديوان ق : ٣ ، الدنف : الغروب ، المرض .

و هي قصيدة طويلة تجاوزت خمسين بيتاً، والقصيدة تبدا بمقدمة غزلية، ثم يتحدث عن اثار تلك الرحلة في اسرته وشدة تعلقهم به لينتهي الى مدح المنصور في عشرة ابيات الذي قضى شطر حياته الاولى في مدحه ومدح ابنيه عبد الملك وعبد الرحمن، ويترك قرطبة في عهد الفتنة ويتنقل بين مدن مختلفة مثل سرقسطة الذي امضى عشر سنوات في مدح المنذر بن يحيى وابنه يحيى، ومدينة دانية، بلاط مجاهد العامري الذي امضى سني حياته الاخيرة فيها ويتوفى سنة ٤٢١ للهجرة.

ديوانــه: له ديوان حققه د. محمود علي مكي[١] حوى ستة الالف بيت في مائة وتسع وستين قصيدة ودرسه عدد من الباحثين في رسائل جامعية.

اغراضه الشعرية: المديح: شاعر مداح، كان يتكسب بشعره فمدح الامراء والحكام والوزراء والقضاة... وقصائده تسير على سنة القصيدة العربية القديمة متكاملة العناصر، تمثل الممدوح في صوره المثالية المتمثلة بالشخصية الاسلامية مثل حماة الدين، وحامل راية الجهاد، واحتساب الاجر ونشر العدل.. وتميزت قصائده المدحية بالاتي: -

١- كانت منسجمة مع ظروف العصر، فجسد القيم الخُلقية وملامح الشخصية الاسلامية، وديوانه مرآة صادقة لاحداث عصره، وقد تفاعل الشاعر مع تلك الاحداث ووصف غزوات المنصور بن ابي عامر والمنذر التجيبي وابنه يحيى والاحداث السياسية والدبلوماسية.

٢- وصف الرحلة الى الممدوح وما يقتضيه من المشقة ووصف مواقف الوداع و فراق الاهل، و هو وصف مشوب بمعاني الغربة والقلق والضياع، مصوراً فراق اسرته وشدة تعلقهم به، و هو ما يمكن تسميته بـ (التعلق الاسرى) و هو موضوع فيه جدية وريادة، ومن ذلك قوله: [٢].

---

[١] طبع في المكتب الاسلامي ، دمشق : ١٩٦١ .

[٢] ديوانه : ق : ٧٨ ، وهي بالاصل قصيدة معارضة لقصيدة ابي نواس التي مطلعها

اجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

ولمـــا تـــدانت للـــوداع وقـــد هـــفا بصـــــبري منهـــا آنـــةٌ وزفيـــر

تناشـــدني عهـــد المـــودة والهـــوى وفـــي المهـــد مبغـــوم النـــداء صـــغيرُ

عيّـــي بمرجـــوع الخطـــاب ولفظـــهُ بموقـــــع اهـــواء النفـــوس خبيـــرُ

تبـــوأ ممنـــوع القلـــوب ومـــهّدت لـــــه اذرع محفـــــوفةٌ ونحـــــورُ

وقوله في قصيدة في مدح المنصور بن ابي عامر[١].

ولله عزمـــي يـــومَ ودعـــت نحـــوه نفوســـاً شـــجاني بينهـــا وشـــجاها

وربـــة خـــدرٍ كالجمـــان دموعهـــا عزيـــزٌ عـــلى قلبـــي شـــطوط نواهـــا

وبنـــت ثمـــانٍ مـــا يـــزال يروعنـــي علـــى النـــأي تـــذكارى خفـــوق حشـــاها

٣- وصـف الاسفار في البر والبحر، فهو يصف رحلة البحر في قصيدته النونية التي يخاطب فيها خيران العامري[٢].

اليـــكَ شـــحنّا الفلـــك تهـــوي كأنهـــا وقـــد ذعـــرتْ عـــن مغـــرب الشـــمس –

٤- وصف المعارك البرية والبحرية: وقد تناولها في قصائد كثيرة، ضمن قصائده المدحية و سيطرت الصور الحربية على شعره لتعويض عدم مشاركته في الحروب، حيث يستمد اخباره من الجنود العائدين، و في ذلك و صف واقعة خاضها المنصور بن أبي عامر على ثورة زيري بن عطية فوله: [٣]

تحمـــلُ البحـــرُ بحـــراً مـــن الـــقنا يـــروعُ بهـــا امـــــواجه ويهـــولُ

بكـــل معـــالاة الشـــراع كأنـــها وقـــد حملـــت أُســـد الحقـــائق غيـــلُ

اذا ســـابقت شـــأو الريـــاح تخليـــتْ خيـــولا مـــدى فرســـانهن خيـــولُ

---

[١] ديوانه ق : ٣ .
[٢] نفسه : ٣٣ .
[٣] ديوانه : ق : ٣٣ .

اراقــمٌ تُقــري نــاقع الســم مالهــا بمــا حَمــلتْ دون الغــواة مقيــلُ

٥- وصف الطبيعة والرثاء: فهي لا تتجاوز عشرين قصيدة، فالوصف ضمن قصائد المديح في وصف الرحلة الى الممدوح وما مر بالبراري والبحار، والرثاء يتداخل مع المديح في رثاء احد افراد العائلة الحاكمة اضافة الى قصائد مستقلة معدودة.

٦-ميله الى المعارضة لذلك اتهم بالتقليد: وقال عنه احمد ضيف إنه مقلد بارع وتبعه احمد امين..... [١]

٧- تعلقه بالصورة الواحدة مسافة طويلة والحاحه على جوانبها الى حد الملل مثل القصائد الطويلة عند ابن الرومي (٢٨٣هـ).

٨- استخدامه اساليب البديع من طباق وجناس وميله الى المطابقات في الفاظه وإكثاره من الاشارات التاريخية فكان يميل الى المقايسة والتعقيد.

٩- الجزالة والفخامة والقوة في الصياغة اللغوية وتوظيف ثقافته الاسلامية من القرآن الكريم والحديث النبوي واثر الصحابة في شعره.

١٠- من متقدمي شعراء عصره فقد عُدّ من شعراء الطبقة الاولى، وقد اشاد به النقاد القدامى وافتخر به اهل الاندلس من الادباء، ابن شهيد وابن حزم وابن شرف القيرواني[٢].

ثـانياً:-

شعر السجن: كان الشاعر يتعرض احيانا للسجن من جراء التنافس على السطة او من نقد الحكم القائم او اخفاق عسكري او جريمة ارتكبها، او سلاطة لسان او هجاء مُر... ومن الشعراء الذين تعرضوا للسجن احمد بن محمد فرج الجياني صاحب كتاب الحدائق لكلمة عامية نطق بها نقلت عنه واقام في السجن سبعة اعوام،

---

[١] بلاغة العرب : ١٠٠ ، ظهر الاسلام ٢ : ١٢٤ .

[٢] للتفاصيل ينظر : مقدمة ديوانه والادب الاندلسي : ١٥١ ، مذجد و المكان في شعر ابن دراج القسطلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ .

وكانت له اشعار ورسائل في محبسه الى الحَكم المستنصر لم تكن تصل اليه، ولما توفي الحكم اطلق من سجنه، ومن الشعراء الأخرين الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي اذله المنصور بن ابي عامر لمنافسة بينهما على الحجابة وقد استشفع كثيراً دون الفائدة وكان يتقلب بين اليأس والامل ومن قوله: [1]

صبرتُ على الأيام لما تولّت ... والزمتُ نفسي صَبْرَها فاستمرّت

فوا عجباً للقلب كيف اصطبارُه ... وللنفسِ بعد العز كيف استُذلت

وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتى ... فان طمعتْ تاقتْ وإلا تسَلّت

وكانتْ على الأيام نفسي عزيزةً ... فلما رأتْ صبري على الذلّ ذلّت

فقلتُ لها يا نفسُ موتي كريمةً ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وللشاعر الكاتب عبد الملك بن ادريس الجزيري قصيدة تعليمية في الاداب والسنة كتبها الى ابنه من السجن ولاقت إقبالاً كبيراً من الاندلسيين مطلعه: [2]

الوي بعزمِ تجلّدي وتصبّري ... نأي الاحبةِ واعتيادُ تَذكري

ويفصح عن حاله في فقدان صبره وذهاب سروره وتشوقه الى ابنه الاصغر متذكراً ساعة فراقه:

عجباً لقلبي يومُ راعتنا النوى ... ودنا وداعُك كيف لا يتفطّر

ويحث ابنه على طلب العلم:

واعلم بانّ العلمَ ارفعُ رتبةٍ ... وأجلّ مكتسب واسنى مفخَرِ

فاسلك سبيل المقنين له تَسُدْ ... إنّ السيادة تُقتنى بالدفترِ

---

[1] التفاصيل ما تعرض له وقصائده ينظر بيان المغرب ٢ : ٣٩٩ ، الحلة السيراء : ١٢٣ .

[2] الجذوة : ٢٦١ ، يتيمة الدهر ١ : ٤٣٧ ، التكملة : ٢٣١ ، فهرسة ابن خير : ٤١٠ .

وينصح ابنه بالسكوت والاحتراس والحلم.

واخـزن لسـانك واحتـرس مـن نطقـهِ واحـــذر بـــــوادر غيـــهِ ثـــم احـــذر

واصـفح عـن العـوراء إنْ قيلـتْ وَعُـدْ بـــالحلم منـــك علـــى الســـفيه المـــعوِر

و من الشعراء الاخرين يو سف بن هارون المعروف بالرُمادي الذي سجنه الحكم المستنصر فبعـث قصيدة من سجنه يصف فيه حاله بعاطفة جياشة فيما و صل اليه قائلاً [1] .

علـى كبَـري تَهمـي السـحابُ وتَـذرِفُ وعَـنْ جَزَعـي تَبكـي الحَمـامُ وتهتـفُ

كـــأن الســـحاب الواكـــفات غواســـلي وتـــلك علـــى فقـــدي نـــوائح هُتّـــفُ

و يروى انه الف في السجن كتابا سماه " كتاب الطير " و صف فيه الطيور المعروفة شعراً وذكر خواصه وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد الطفل هشام بن الحكم ليشفع فيه عند أبيه [2] والشاعر محمد بن مسعود البجاني الذي قال عنه الحميدي " أنه كان مليح الغزل طيب الهزل " [3].

وتميز شعرهم بالحزن العميق والتشوق الى الحرية والبكاء على الحياة بقلق وحيرة فيه نغمة زهدية حكمية او فلسفية مستمدة من تجربتهم الحياتية، ومواساة انفسهم بالصبر والعزيمة وعدم الجزع من الموت، واستشفاع مذل في قصائد التوسل وهي صور قلقة باكية مكررة في شعرهم لان السجن في أي عصر كان عبارة عن مقبرة الاحياء.

الشاعر الطليق المرواني.

---

[1] المطمح : ٧٣ .
[2] نفسه والصفحة .
[3] الذخيرة ٢/١ : ٧٩ ، الجذوة : ٨٦ ، المغرب ٢ : ١٩١ ، المسالك ١١ : ٤٠٠ .

هو ابو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، وكان يعشق جارية رباها ابوه معه، فنشأ يصبو اليها وتصبو اليه، وذكر لابيه، ولم يحترم رغبته

واستأثر بها فداخلته غيرة شديدة عندما فاجأ اباه في احدى خلواته معها، فقضى عليه[١] وكان عمره ستة عشر عاماً، فأخذ بجرمه وسجن، لمدة ستة عشر عاماً، وتحول السجن بالنسبة اليه الى مدرسة، تعلم فيه الادب والشعر، وعمقت في نفسه الرغبة في الاقبال على التعلم ودربته على الصبر وتحمل الألم، وكان في السجن عدد من الادباء، منهم الشاعر محمد بن مسعود البجاني، الذي اصبح شيخه، فأخذ منهم، وتعلم نظم الشعر واخذ ينظم في السجن قصائد تصل الى اسماع الناس ويرددونها، وكان يشعر بعظم ذنبه تلقاء ابيه[٢].

وكان سنوات سجنه خصبة بالنتاج الشعري الذي لم تصلنا إلا النزر اليسير، ومن ذلك ما قاله في تصوير سجـــنه ، ذلك المكان المظلم ازاء مدينة الزهراء التي تتلألأ انوارها [٣].

فـي مـــنزلٍ كالليـلِ اسـودَ فـاحم داجـي النواحـــي مظلـم الاثبـاج

يسـود والـــزهراء تشـرق حولـه كالحبـــر أُودع فـــي دواة العـــاج

وكان يشعر بالحزن والفناء في لحظات الضيق ويسلي نفسه بان الدنيا زائلة يفني ويُفنى [٤].

ألا إنّ دهـراً هادمـاً كـلّ مـا نبنـي سيـبلى كمـا يُبلـى ويُفنـى كمـا يفنـي

ومـا الفـوز فـي الـدنيا هـو الفـوز إنّمـا يفـوز الفتـى بالربـح مـع الغـبنِ

---

[١] الجذوة : ٣٢٢ ، النفح ٢ : ٣٩٩ ، الحلة ١ : ٢٢٠ .
[٢] الجذوة : ٨٦ .
[٣] النفح ٢ : ٢٦٤ ، الحلة ١ : ٢٢١ .
[٤] النفح ٢ : ٣٩٩ ، المعجب : ٢٨٥ .

يجـازي ببـؤسٍ عـن لـــذيذ نعيمهـا ويجنـي الـردى ممـا غـدت كفـه تجنـي

وفي اطلاقه من السجن روايات مختلفة [1] فعاد الى حياة اللهو بعد ان فطمه السجن لسنوات عدة، ونظم قصائد في الخمر والغزل ووصف الطبيعة والفخر، واشتهر بشدة ميله الى التصوير وشغفه بالتشبيه ومزج صوره بموسيقى عذبة، راقصة النغم، مصوراً الحياة البهيجة من حياة الحب والطبيعة والخمر على عكس قصائده في السجن ومن قوله في وصف ما تحدثه الخمرة على الوجنة: [2].

اصبـــحتْ شمســاً وفـوهُ مَغربـاً ويـــدُ الســـــاقي المحيـــي مشـــرقاً

فـــاذا مـــا غـــربت فـــي وجهـــهِ تركـــتْ فـــي الـــخدِ منـــه شـــفقاً

وله قصيدة مشهورة عند القدامى، واقتبسوا منها شواهد على قدرته الشعرية، وهي قصيدة طويلة بقيّ مما اختير منها ثمانية وثلاثون بيتاً، فهو يصف الساقي والخمر وما يتصل بها ثم يصف الطبيعة في وصف يوم عاصف ماطر ومن ثم حلول الصحو ومنظر الازهار مختتماً القصيدة في الفخر بنفسه وبقومه وفيها يعبر عن مشاعره الصادقة وصياغته الشعرية رصينة مع العناية بالاخيلة والصور ومطلع القصيدة: [3] .

غصْـنٌ يهتـزُّ فـي دعـص نقـا يَجتَنـي منـه فـوادي حُرَقـا

اطلـعَ الحسـنُ لنـا مـن وجهـه قمـراً ليـس يُـرى مُمَّحقـا

ورنـا عَـن طـرفِ ريـم أحـورٍ لحظُـهُ سَهْـمٌ لقلبـي فوِّقـا

باسـمٌ عـن عِقـدِ دُرٍّ خِـلْتُه سلبْتُـهُ لثنـاه العُنقـا

سـالَ لامُ الصُـدغ فـي صـفحتهِ سَـيلان التِّبـر وافـى الوَرِقـا

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٩٩ هيكل ، الدول والامارات : ٢٨٠ .
[2] النفح ٢ : ٣٩٩ ، المعجب : ٢٨٥ .
[3] الحلة ١ : ٢٢٠ ، النفح ٣ : ٥٨٦ ، دعص : كثيب ، نقا : رملة ، ريم : ظبي ، فوِّق : سُدد ، الصدغ : الشعر المنسدل بين الاذن والعين ، الورق : الفضة

ويلاحظ كثرة تشبيهاته التي لا تخلو من عذوبة ونسق صوتي يلذ الاسماع، فشبه قامة المرأة بالغصن النابت في كثيب رملة، وشبهها بالقمر وبظبي احورَ وهي تسدد السهام الى قلوب المفتونين وتشبيه اسنانها بعقود در وصدغ شعرها باللام والاشقر منه بسيلان الذهب على الفضة، مع صياغة لغوية فيها صفاء وسلاسة وعذوبة.

ب – **الاتجاه الحديث:** ان تجمع الاموال وارتفاع المستوى المعاشي من العوامل المساعدة في البحث عن الجديد في المسكن والملبس وطريقة الحياة واشباع الغرائز... والاستمتاع بنعيم الدنيا ومباهجها، وكان المجتمع الاندلسي يتميز بالتحرر، فالمرأة كانت مبتذلة لكثرة الجواري وانتشار دور النخاسة والقيان ومدارس الرقص والغناء فيما كان يطلق عليها " دور المدنيات " وانتشار الحانات، وان الخمر كانت شائعة في الاندلس، فالحكم المستنصر لم يتمكن من منعها على الرغم من أوامره باراقتها وتحطيم دنانها وكان المجتمع خليطاً بين المسلمين والنصارى واليهود ومن اعراق مختلفة، وحالات الزواج بينهم شائعة، وهي العوامل الرئيسة في التفكك الاسرى وضعف تمسك

البيوتات العريقة بعاداتها وتقاليدها، وان معظم امهات الامراء والخلفاء كنَّ من الاسبانيات، كما كانت هنالك طبقة من الغجر تمارس الرقص والغناء والفجور وان المنصور بن أبي عامر طردهم من الاندلس ثم سمح لهم بالعودة، اضافة الى الطبقة الشعبية من سكان المدن الذين لم ينالوا من المدنية إلا قشورها، فالغزل بنوعيه المجون والشاذ كانت غير محرجة ومألوفة في مقدمة بعض القصائد المدحية، وان قصائد أبي نواس وبشار بن برد وصريع الغواني.... كانت تسمع وتترد في مجالس الأنس، لذلك بقيّ الاتجاه الحديث نامياً ومزدهراً في اوساط المحبين لبقاء دواعي نموه، وكان هذا الاتجاه يتجلى في الخمريات والغزل المبتذل والغزل الشاذ، ويسير بمحاذاة الاتجاه المحافظ وقد يلعب الغرض الشعري مسلكه في تحديد اتجاهه الشعري

اضافة الى بواعث القول والمكان وشخصية الشاعر، ويمثل الشاعر الرمادي كلا الاتجاهين.

الشاعر الرمادي، يوسف بن هارون (ت ٤٠٣هـ).

هو أبو عمر يوسف بن هارون الملقب بالرُمادي، وهي صورة عربية لكلمة رومانثي، وجاء في الصلة " كان يلقب بابي جنيش " وجنيس: كلمة اسبانية بمعنى الرماد[١] واسرته تتصل بقبيلة كندة، نسباً او ولاءً، ولد في بداية القرن وعاش معظم

ايامه في قرطبة وتتلمذ فيها على يد ابي علي القالي وروى عنه كتاب النوادر الملحق بالامالي[٢] واكتسب صناعة الادب من شيخه الشاعر المعروف الكفيف أبي بكر بن هذيل (ت٣٨٩ هـ)، ومارس التدريس فترة من الزمن، وعاصر من حكام الاندلس عبد الرحمن الناصر وحكم المستنصر والحاجب منصور بن ابي عامر وولديه، وارتفع شأنه في ايام الحكم واصبح مقدماً على بقية الشعراء، ثم تقلبت به الاحوال مع مجموعة من الشعراء بشعرٍ ظهر في ذم الحكم المستنصر قوله: [٣]

يُولي ويعزلُ مِن يومهِ فلا هذا يُتُمُ ولاذا يَتِم

فسجن ولم يخرج منه إلا بعد وفاة الحكم، وفي سجنه الف مجموعته المفقودة " كتاب الطير " الذي اشرنا اليها في قصائد السجن.

وعاصر المنصور بن أبي عامر الذي اطلق سراحه وتردد عليه، ولم تصلنامدائحه فيه، وغضب عليه المنصور لمصاحبته الحاجب المصحفي المذكوب، وامر بتغريبه فترة من الزمن ان لا يكلمه احد، وكانت له رحلات خارج قرطبة، اقترنت بنشاط شعري الى سرقسطة وشنترين وطال به العمر وادراك الفتنة ومات سنة ٤٠٣ للهجرة فقيراً معدماً[٤].

---

[١] الادب الاندلسي : احمد هيكل : ٢٨٣ .
[٢] عصر الدول والامارات ، شوقي ضيف : ٢٧٨ .
[٣] جذوة المقتبس : ٣٤٩ .
[٤] لتفاصيل عن سيرته وعلاقته مع المنصور ، ينظر : الحلة : ١٢٩ ، الجذوة : ٣٤٧ ، الادب الاندلسي : ٢٠٥ احسان عباس ، الادب الاندلسي : ٢٨٦ هيكل ، الامارات والدول : ٢٧٧ .

شـــعره:

خلف شعراً كثيراً ولم يصلنا ما يدل على إنه كان له ديوان، متعدد الفنون و عد من شيوخ الادب في وقته حتى قيل " فتح الشعر بكندة و ختم بكندة " يعنون به امرأ القيس والمتنبي والرمادي[1] واذا أعجبه قطعة شعرية لشيخه ابن هذيل، عارضه او ناقضه ويروي أنه[2] لقيّ ابن هذيل، فسأله عمّا جدّ له من الشعر، فقال له: ليس عندي كبير، ولكن ما عندك، فاخرج ابن هذيل قصيدة منها.

ومُرِنّـــةٍ والـــدَّجنُ ينســـجُ فوقهـــا بُـــرْدينِ مـــن حلـــك ونـــوءٍ بـــاكي

مالـــتْ عـــلى طـــيّ الجنـــاح وإنمـــا جـــعلَتْ اريكَتَهـــا قضـــيبَ أراكِ

وترنمَـــتْ لَحنَـــين قـــد حلتهُـــما كغنـــاء مســـمعة وأنـــةِ شـــاكى

ففقـــدتُ مـــن نفســـي لفـــرطِ صـــبابتي نفـــسَ الحيـــاة وقلـــتُ مـــن ابكـــاكِ

فاعجب به الرمادي، فقال له ابن هذيل: انصرف الى المكتب و تأدب حتى تحسن مثل هذا، قال الرمادي: فحركني كلامه، ثم بكرت اليه وانشده:

أحمامـــةٌ فـــوق الأراكـــة بيّنـــي بحـــياةِ مَـــنْ ابكـــاك مـــا ابكـــاك

أمـــا أنـــا فبكيـــتُ مِـــنْ حُـــرَق الهـــوى وفـــراقِ مـــن أهـــوى، أأنـــت كـــذاك

أغراضه الشعرية:

١- الخمريات:

لما أمر الحكم المستنصر باراقة الخمر واجتثاث الكروم، أبدى الرمادي اسفه وتوجع لشاربها، وذكر الحكم في قصيدة طويلة بقصة أبي حنيفة النعمان الذي شفع في جار سكير له، كان كل ليلة يشرب متغنياً بقول العرجي:

---

[1] الجذوة : ٣٤٦ .

[2] نثار الازهار : ٨٢ ، اليتيمة : ٣٦٧ ، المطرب : ٦ .

أضـــاعوني واي فتـــى أضـــاعوا ليـــوم كريهـــةٍ وســـداد ثغـــر

ويقول الرمادي:

بخطـب الشـاربين يضـيقُ صـدري وتُرمضـــني بليّـــتُهم لَعَمـــرْي

وهـل هـم غيـر عشـاقٍ أُصيـبوا بفقـــدِ حبائـــبِ ومَنـــوا بهجـــر

ثم يحكى قصة أبي حنيفة وجاره السكير، وتغلب النثرية والاستطراد الشديد والاحتجاج حيث يتفرغ الى الكلام عن مكانة أبي حنيفة وخُلقه وهو خروج عن الموضوع الاصلي في الخمر والدفاع عنه[1].

وله قصيدة أخرى[2] في السرد عن سفينة نوح وفوز ابليس بثلثي كرومها ونوح بثلثها، وفيها مجاهرة في شربها واستهتار ومجون عابث وسخرية بتشبيه الخمر بمقدسات المسلمين.

اشـرب الكـأسَ يـا نصـير وهـات إن هـــذا النهـــار مـــن حســـناتي

بـابي، مُـزّةَ تـرى الشـخص فيهـا فـــي صـــفاء اصـــفى مـــن المـــرآة

تســرع النــاس نحــوها بازدحــام كازدحـــام الحجـــيج فـــي عرفـــات

هاتهـا يـا نصـير اذا اجتمـعنا بقلـــوب فـــي الـــدين مختلفـــات

فـاذا انقضـى دنـان علـى اللهـو اعتمـــدنا مواقـــع الصـــلوات

لـو مضـى الـدهر دون راح وقصـف لعـــددنا هـــذا مـــن الســـيئات

فاستهتاره واضح في جعل إسراع السكارى الى الخمر كازدحام الحجيج حول عرفات، وكان في إمكانه تشبيه ذلك بشيء آخر، إضافة استهتاره بالصلاة فانه يشرب ويلهو مع أصحابه ثم يصلون، فصلاتهم مسبوقة بالسكر واللهو.

---

[1] القصيدة كاملة في ، الجذوة : ١٤ ، المعجب : ١٤ .

[2] دفاتر اندلسية : ٣٥١ ، المطمح : ٨١ .

٢- الغزل بالغلمان:

اندفق كثيراً من طاقته في التغزل بالغلمان حتى ان السجن لم يشغله عنه، كقوله[١].

وأنـي لاغضـي الطـرف عنـك جلالـة وخوفـاً علـى خـديكَ مـن لحظـاتي

ولـو أننـي اهملـت عيـني بـان تـرى سـناك لحـالتْ دونهـا عبراتـي

زعمـتَ بـأني حـلتُ عنـك ولـم اكـن اعنيـك فـي بـثي وفـي حسـراتي

وهـل أنـا إلا طـالب لـمنيتي اذا حُلـت عَمـن فـي يديـه وفـاتي

فهو يخاف على خدى محبوبه خوفاً من النظرات، وربما قصد الحياء او الخجل.

الدراسة الفنية: - قصائده فيها الغث والسمين، قسم قليل الجودة يصل الى السطحية والنثرية وربما يعود الى مرحلة الشباب مثل قصائده في الخمر والمجون وقصائد فيها الجودة كقصيدته في مدح عبد العزيز بن المنذر شقيق الحكم المستنصر، استهلها بمقدمة في وصف الازهار[٢] مطلعها:

تأمـل بـأثر الغـيمِ مِـنْ زهـرةِ الثـرى حيـاةَ عيـونٍ مـتنَ قبـل التـنعم

وقصيدته المدحية في محمد بن عبد الرحمن التجيبي كي يستعينه على ذيل حبيبته " خلوة " والقصة اوردهاالحميدي في الجذوة [٣] وقصائده المكتملة النضج تتسم بالمبالغة في المعنى والتهويل في الصورة كقوله في منع سفر حبيبته: [٤].

ويـا دمـعَ عينـي سـدَّ الطريـق وافـرغ علـيهم نجيـع المـآقي

---

[١] تيمية الدهر ٢ : ١٠١ .
[٢] البديع في وصف الربيع : ١٢ .
[٣] الجذوة : ٣٤٧-٣٤٨ .
[٤] اليتيمة : ٢ : ١٠١ .

والعاطفة الحارة ولاسيما في الموضوعات الجادة كالعذريات والشكوى كقصائده في السجن وله قصيدة يشخص فيها عناصر الطبيعة[1].

كأن الربيع الطلق اقبل مهديا بطلعة معشوق الى عين مغرم

تعجبتُ من غوص الحيا في حشا فافشى الذي فيه ولم يتكلم

كأن الذي يسقي الثرى صرفُ قهوة تنم عليه بالحديث والكلم

اما الصياغة فقد اهتم بالمضمون على حساب اللغة والاسلوب بعيد عن التصنع فغلب السرد والروح القصصية على كثير من قصائده [2].

شواعر عصر الاموي

أ – شاعرات القيان:

كانت قصائدهم ذات نغمة حزينة اسية فيها الشكوى والمرارة من واقع الحال، وكن في الغالب يجدن الغناء والرقص، وهي من مستلزمات حياتهن كجواري السريريات، ومعظمهن يجلبن اسرى و هن صغيرات أو يافعات اثناء الحروب او يخطفن من قبل القراصنة او تجار الرقيق الابيض، و من ثم يتحولن الى جواري الخدمة أو يتم بيعهن في اسواق النخاسة كالبهائم.

١- الجارية العجماء:

وهي اول شاعرة اندلسية، وكانت من الجواري الوافدات من الشرق ضعيفة البنية، هزيلة ودميمة الشكل، وكانت لرجل فقير مولى يسكن معها في بيت صغير قليل الاثات، وكانت تتقن قول الشعر والغناء و هي مثل شواعر القيان كانت تخلق

---

[1] الحلة ١ : ١٠٩ .

[2] للمزيد عنه يرجى مراجعة : الجذوة : ٣٤٦ ، الصلة : ٦٣٧ ، ١٤٩١ ، المطرب : ٣ ، بغية الملتمس : ١٤٥١ ، وفيات الاعيان ٢ : ٥٤٢ ، مطمح الانفس : ٧٨ ، يتيمة الدهر ١ : ١٠٠ ، او ر قم ٨١٩ ، المغرب ١ : ٣٩٢ ، النفح ٢: ٢٢٦ ، مسالك الابصار : ١١ : ١٧٥ ، الادب الاندلسي ، هيكل : ٢٨٣ ، تاريخ الادب الاندلسي ، احسان عباس : ٢٠٥ ، الدول والامارات : ٢٧٧ .

جواً من الحزن الوجداني والكآبة النفسية في نطاق الحب المقرون بالحرمان والغزل المقترن بالشكوى، وقال احدهم جئنا بيت سيدها، اطلعت علينا وكانت ملابسها رثة قديمة، فقلت ما هذه فقالت: اسكت، فتناولت عوداً فغنت: -

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم

فاستيقني أن قد كلفتُ بكم ثم افعلي ما شئت عن علم

قد كان صرمُ في الممات لنا فعجلتْ قبل الموت بالصرم[1]

وهي صورة معبرة، اوردت كلمة صرم مرتين كجناس تام في الحديث عن ملابسها، الكلمة الاولى بمعنى " الجلد" وتقصد الكفن والثانية بمعنى التقطيع والتمزيق وكانت تعتقد أن ملابسها آخر ما ترتديها وتبقى الى مماتها وتدفن بها ولكنها عجلت بالتمزق ولها أبيات مماثلة أوردها المقري في النفح. [2]

٢- قمر:

وكانت جارية، جلبت من بغداد لحاكم اشبيلية ابراهيم بن الحجاج الذي تمرد على الامير عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاوسط في نهاية القرن الثالث للهجرة وكانت جميلة، وجمعت ادباً وظرفا ورواية وحفظاً مع فهم بارع ومعرفة بصوغ الالحان والغناء، وتقول الشعر، من ذلك ما قالته وهي تتشوق الى بغداد: [3]

آها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في احداقِها

ومجالها عند الفراتِ بأوجه تبدو أهلَّتُها على اطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذري من اخلاقِها

نفسي الفداء لها فأي محاسن في الدهر تُشرقُ من سَنا إشراقِها

---

[1] النفح ٤ : ٤٤٩ .
[2] النفح : ٤ : ٤٤٩ .
[3] النفح ٤ : ١٣٧ .

فاستندت على الحزن والآهات في تصوير صورة بهيجة، وكانت هنالك شاعرات أخريات مثل فضل المدنية، جلبت من بغداد و سبيت و هي صغيرة من الروم[1] ومُتعة جارية زرياب ومصابيح ذات الصوت الرقيق[2] وأسماؤهن تدل على أنهن كنَّ جاريات، في اسماء مستعارة.

ب – شواعر الحرائر.

١- حسانة التميمية، بنت الشاعر ابو المخشي، وقد سبق الحديث عنها.

٢- حفصة بنت حمدون الحجارية، من وادي الحجارة في الاندلس، و هي اول اندلسية تقول الغزل، وكانت من بيت غنى وثراء وذات مال وعبيد، و هي شاعرة رقيقة محسنة في نسج شعرها، منطلقة في افكارها، و من طريف شعرها قولها في حبيب لها الكبرياء ودلال [3].

لـــي حبيـــبٌ لا ينثنـــي بعتـــابٍ واذا مـــــا تركتـــــــه زاد تيهـــــا

قـال لـي: هـل رايـتِ لـي مـن شـبيهٍ قُلـتُ أيْضـاً وهـل تـرى لـي شـبيها

٣- عائشة بنت احمد القرطبية (ت ٤٠٠هـ) يقول المقري: لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علماً وفهماً وادباً وشعراً وفصاحة[4] وكانت قديرة وعفيفة حسنة الخط تكتب المصاحف، ترتجل الشعر، ماتت عذراء لم تتزوج، وكانت على الرغم من أنوثتها ذات إباء وهـــمة وترفع، خطبها احد الشعراء، فلم تر منه كفء، وألح فكتبت اليه[5]:

أنـــا لَبَـــوةٌ لكننـــي لا ارتضـــي نفســي مناخــاً طــولَ دهــري مِــنْ أحَــدْ

---

[1] للتفاصيل عنهن ينظر : النفح ٤ : ١٣٦ .
[2] نفسه ٤ : ١٢٨ .
[3] المغرب ٢ : ٣٨ ، النفح ٦ : ٢٢ .
[4] النفح : ٦ : ٢٦ .
[5] المصدر نفسه.

ولــو أننــي أختــارُ ذلــك لــم أُجــبْ كلبــاً، وكــم غلقــتُ ســمعي عــن أسَــدْ

ب – عصر الفتنة (٣٩٩- ٤٢٢هـ).

توفي الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ للهجرة بعد فترة من الازدهار العلمي والحضاري وأوصى بالحكم لابنه الحدث هشام الملقب بالمؤيد فاستأثر حاجبه المنصور بن أبي عامر بالحكم وأمر ان يذكر اسمه على المنابر والسكة والطرز وبني مدينة الزاهرة، ونظم الجيش على اسس جديدة، واستقدم البربر بصفة محاربين محترفين، وحكم سبع وعشرين سنة وتوفي سنة ٣٩٢ للهجرة وخلفهُ في الحكم ابنه عبد الملك المظفر الذي لم يختلف عن ابيه في السياسة والحزم والعلم، وتوفي سنة ٣٩٩ للهجرة في ظروف غامضة وتولى بعده اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول[١]، وافتتح امره " بالخلاعة والمجانة مجاهراً بالفتك وشرب الخمر " [٢] وحمل الخليفة على توليه ولاية العهد وخرج على سيرة والده واخيه في حملة عسكرية في ظروف غير ملائمة، فأجتمع الساخطون على حكمه ووثبوا على صاحب الشرطة وقتلوه وخلعوا هشام المؤيد سنة ٣٩٩ للهجرة، وكانت بداية للفتنة التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة وعندما وصلت الاخبار اليه تفرق عنه الجند وقتل في الطريق، وفي هذه الفتنة انكشفت الاحقاد الدفينة وقلبت المقاييس وخربت الدور وعمت الفوضى وانهارت اركان الدولة، واستولى الافرنج على الثغور المهمة ووصف المقري عن ابن الرقيق وفي" يوم واحد " فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع الخليفة المؤيد وولى الخليفة المهدى... واقيمت جيوش من العامة ونكب خلق من الوزراء اخرون وكان كله على يد عشرة فحامين وجزارين وزبالين وهو جند المهدي، وكان قيامه شؤماً على الدين والدنيا، وضرب الزهراء واخذ أموالها ثم حرقها وهدمها، وأجج الفرقة بين المسلمين باضطهاد البربر، واستعان بالافرنج لضرب خصومه البربر

---

[١] للمزيد ينظر : صورة المجتمع الاندلسي : ١٥-٣٩ .
[٢] النفح ١ : ٤٢٣ .

الذين تجمعوا خارج قرطبة ووحدوا قواهم واختاروا سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين خليفة للمسلمين، واصبحت قرطبة ميدان قتال، وكان المستعين "يجوس خلال الاندلس ورجاله ومن معه من البربر ينهبون ويقتلون ويقفرون المدائن والقرى بالسيف وينهبون كل ما يجدونه من أموال " [1] وفي تلك الفتنة قتل حشد كبير منهم الاديب ابن الفرضي الذي " بقي في داره ثلاثة ايام ودفن متغيراً من غير غسل ولا كفن ولا صلاة "[2] وخرج عنه العلماء والأدباء وتفرقوا في الارض، واصبحت للافرنج اليد الطولى في تولية الحكام، وبلغ عددهم ثلاثة عشر حاكماً، ولم يكن لهم السلطة الا على مساحات قليلة بعد سيطرة اصحاب السيوف والخارجين عن القانون على المدائن، وتوزعت البلاد الى مناطق نفوذ وسيطرة في حروب طاحنة من غير توقف تمهيداً لتقسيم البلاد وبدء عهد ملوك الطوائف ولاسيما بعد اعلان الخليفة هشام بن عبد الملك المرواني الملقب بالمعتد بالله التنازل عن الخلافة الى مجلس من اعيان المدينة برئاسة ابن جهور وظهر في تلك الفترة غرض شعري هو رثاء المدن التي خربت وازيلت معالمها الحضارية[3].

* * * *

رثاء المدن والحواضر التي خربت اثناء الفتنة:

لأبي طالب عبد الجبار أرجوزة طويلة في تاريخ الاندلس ورد في ملحق كتاب الذخيرة لابن بسام[4] وصف فيها تلك الفترة، ويقول عن بداية الفتنة: -

لما أنقضتْ دولة بني عامر قام المهدي من آل الناصر

فوقعت بينهم حروب لاح من بينها الهروب

فأظلمت في عصر الآفاق وعمها الشقاق والنفاق

---

[1] النفح ١ : ٤٢٦-٤٢٧ .
[2] الحلة السيراء ٢ : ٥-٨ ، اعمال الاعلام : ١٢٨-١١٣ .
[3] النفح ٢ : ١٣٠ .
[4] الذخيرة ٢/١ : ٩٤١ .

ويمثل ديوان ابن دراج القسطلي وقصائده المدحية صورة للواقع السياسي الذي مرّ به البلاد في تلك الحقبة، مع الاشارة الى ان ابن دراج كان شاعراً مداحاً، مدح معظم الحكام والامراء اصحاب السلطة، وفي المهدي الذي خرب قرطبة قصيدة مدحية[١] وكان لبعض الخلفاء مقطعات شعرية مصورة الحالة التي كانت عليها، كمقطعة للمستعين بالله الذي سيطر على قرطبة مرتين سنة ٤٠٠ للهجرة و٤٠٣ للهجرة وحكم ست سنين وعشرة اشهر[٢] منها: -

حلفتُ بمن صلى وصام وكبرا لأغمدها فيمن طغى وتجبرا

وابصر دين الله تحيا رسومه فبدل ما قد لاح منها وغيّرا

والغريب ان الشعراء قد مدحوا هؤلاء الخلفاء الذين لم تكن فيه سمة واحدة للخلافة فالمستعين بالله كان مستبداً شديداً وقال ابن بسام " أنه سبق المعتضد بن عباد الى اتخاذ الحديقة المطلعة لرؤوس اعدائه، وفي تلك الحديقة قصيدة لصاعد بن الحديد يسميها جلاء للعين اولها: [٣]

جلاء العين مبهجة النفوس حدائق اطلعت ثمر الرؤوس

هناك الله مهدي المساعي جنى الهامات من تلك الغروس

فلم أرقبها وحشاً جميلاً كريه روائه أنس الأنيس

فما يملأ الاسماع منها اذا ملئت من انباء الطروس

وقد وصف ابن حزم خراب مدينة الزهراء قوله " اخبرني بعض الوارد.. أنه رأى دورنا ببلاط مغيث في الجانب الغربي منها، وقد امحتْ رسومها، وطمست اعلامها وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، وصارت صحارى مجدبة بعد العمران وفيافي موحشة بعد الانيس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعاباً مفرعة بعد الأمن

---

[١] ديوان ابن دراج ٤٣-٤٥ .
[٢] النفح ١ : ٤٢٩ .
[٣] الحلة السيراء ٢ : ٤ .

و مأوى للذئاب، ومعارف للغيلان، وملا عب للجان، ومكامن للو حوش، بعد ر جال كالليوث وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الغاشية تبدد شملهم فصاروا في البلاد ايادي سبأ " [1] وفي ذلك يقول: [2]

سـلام علـى دار رحلنـا وغـودرت خـلاء مـن الأهلـين موحشـة قفـرا

تراهـا كـأن لـم تغـن بـالأمس بلقعـا ولا عمـرت مـن أهلهـا قبلنـا دهـرا

فيـا دار لـم يقفـرك منـا اختـيارنا ولـو اننـا نختـار كنـت لنـا قبـرا

واكثر الشعراء البكاء على المدينة بعواطف جياشة صادقة كلها ألم وحسرة و من ذلك قول ابن شهيد[3] يقارن ما كان عليه قرطبة من البهجة والعمران و ما وصلت اليها من الخراب والدمار:-

ياجنـة عصـفت بهـا وبأهلهـا ريـح النـوى فتـدمرت وتـدمروا

ايـام كانـت عـين كـل كـرامة مـن كـل ناحـية اليهـا تنظـر

أيـام كانـت كـفٌ علـى سـلامة تسـمو اليهـا بالسـلام وتبـدر

حزنـي علـى سـرواتها ورواتهـا وثقاتهـا وحماتهـا يتكـرر

نفسـي علـى ألائهـا وصـفائها وبهائهـا وسنائهـا تتحسـر

كبـدي علـى علمائهـا، حلمائهـا ادبائهـا، وظرفائهـا، تتفطـر

وقوله: [4]

فلمثـل قرطبـة يقـل بكـاء مـن يبكـي بعيـن دمعُهـا متضـجر

---

[1] طوق الحماسة : ١٨٢ .
[2] اعمال الاعلام : ١٠٧ .
[3] ديوان ابن شهيد : ٦٩ .
[4] ديوان ابن شهيد : ١٠٩ .

وقوله في هجرة العلماء والادباء مراكز المدن وتركها الى المحاربين واصحاب السيوف الغرباء [1].

ادور فلا اعتام غير محارب واسعى فلا القى امرءاً لي يسالم

كما بكاها ابن فرج الالبيري، السميسر[2].

وقفت بالزهراء مستعبراً معتبراً أندب اشتاتاً

فقلت: يازهرا ألا فارجعي قالت: وهل يرجع من ماتا

فلم ازل أبكى وأبكى بها هيهات الدمع هيهاتا

كأنما اثار ما قد مضى نوادب يندبن امواتا

ونقل لنا محيي الدين بن عربي ابياتاً قال أنه قرأها على بعض جدران الزهراء بعد خرابها[3].

ديارٌ باكناف الملاعب تَلمعُ وما إنْ بها مِنْ ساكن وهي بلقعُ

ينوح عليها الطير من كل جانب فيصمت أحياناً، وحينا يرجع

فخاطبت منها طائراً متغرداً له شجن في القلب وهو مروّع

فقلت على ماذا تنوح وتشتكي فقال: على دهر مضى ليس يرجع

ولم تقتصر احداث الفتنة على عاصمة الخلافة وتجاوزتها الى معظم المدن الاندلسية التي اصبحت مراكز لاصحاب السيوف والنفوذ، وارخ ابو اسحاق الالبيري (ت٤٦٠هـ) لاحداث خراب مدينة البيرة سنة ٤٠٠هـ في عشرين بيتاً [4].

يضيع مفروض ويغفلُ واجبٌ وأني على أهل الزمان لعاتب

---

[1] النفح ١ : ٥٢٧ .
[2] النفح : ٢: ٦٨ .
[3] دولة الاسلام في الاندلس : ٤٠٠ ، محمد عبد الله عنان ،مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٩.
[4] ديوان ابي اسحاق الالبيري : ٧٣-٧٥ .

اتنـــدب أطـــلال البـــــلاد ولا يـــرى لألبيـــرة مـــنهم علـــى الارض نـــادبُ

وايـــن بحـــار العلـــم والحـــلم والنـــدى وايـــن الأكـــف الهاميـــات الســـواكب

شـــققنا علـــى مـــن مـــات مـــنهم جيوبنـــا وكـــــان قلـــيلاً أن تشـــق الترائـــب

اشهر الشعراء الذين تأثروا بالفتنة.

١- ابن شُهيد ابو عامر

ابو عامر ابن شُهيد (٣٨٢-٤٢٦ هـ) هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن شُهيد، ورث المكانة عن ابائه، فقد كان جده الاعلى وزيراً وجده الادنى وزيراً للخليفة وابوه عاملاً على المنطقة الشرقية على الاندلس ثم وزيراً ونديماً للمنصور بن أبي عـامر، ولـد بقرطبـة سـنة ٣٨٢ فـي احضـان النعمـة والتـرف واللهـو، وكـان يحضـر مجالسه مع أبيه وعندما اندلعت الفتنة كان عمره (١٨) سنة فتفاعل مع احداث عصره واقترب من الحكام وتفاعل معهم، وسجن في عهد الـقاسم بن حمود سنة ٤٠٧ هـ، وصور لنا الفتنة وتوفي مبكراً سنة ٤٢٦هـ بعد ان اصيب بمـرض الفالج[١] تفوق من ميادين الشعر والنثر والنقد، له كتاب " حانوت عطار " ورسائل متفرقة اهمها رسالة التوابع والزوابع.

ديوانـه: لم يجمع ديوانه، ولم ترد الاشارة الى جمعه، وقام د. شارل بيلات يجمع ما تيسر له وبلغ عدد الابيات ٨٥٣ بيتاً [٢] وبعد ذلك يعقوب زكي[٣] ودرس شعره حازم عبد الله بعنوان " ابن شهيد الاندلسي " حياته وادبه[٤] وتطرق كثيرون الى رسالته " التوابع والزوابع: كما يتبين عند دراستنا للنثر في العصر الاموي.

---

[١] للمزيد عنه ينظر : الادب الاندلسي ٢٧٠-٣٠٢ ، احسان عباس

[٢] دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٦٣ .

[٣] دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د. ت .

[٤] دار الوطنية للتوزيع والاعلان ، بغداد ، ١٩٨٤ .

شعره: اتصف ابن شُهيد بصفات خُلقية وخلقية مختلفة اثرت على نتاجه الشعري، فكان ثقيل السمع، فكثر عنده الحوار كقوله:

قلتُ: هب لي يا حبيبي قبلةً تَشّفُ من غمكَ تبريح الصدى

فانثنى يهتز من منكبهِ قائلاً: لا ثم اعطاني اليدا

وكان يميل الى اللهو والبطالة وقال الحجاري عنه (كان الزم للكأس من الاطيار بالاغصان، واولع من خيال الواصل بالهجران) [1] فكثر عنده شعر المجون والخمر ضمن قصائد طويلة مثل قصيدته الهمزية التي مطلعها.

خليليّ عوجا بارك اللهُ فيكما بدارتها الاولى نُحَيِّ فِناءها

وهي قصيدة في سبعة واربعين بيتاً[2]، وكان يتميز باسرافه في الكرم حتى رويت عنه الاساطير [3] وكان عزيز النفس، كثير الفخر بنسبه الاشجعي، شديد الاعجاب بنفسه وكان ذلك سبباً في تأليفه رسالة التوابع والزوابع ومعارضته للشعراء

الجاهليين والعباسيين وكثرة شعره في رثاء النفس وكان يميل الى الفكاهة والهزل وحرارة في الاجوبة والالفاظ المقذعة في رسائله، واثرت فيه نظرته النقدية لانها جعلته في وعي بما يصفه في الشعر وما اصاب الشعر من تطور لذلك لم يسرف في البديع ولم يقصر في المدح والخمريات والمجون والاخوانيات والهجاء وتفوق في شعر الرثاء لاسيما رثاء النفس وشعر تصوير الفتنة كما له مقطعات شعرية في الوصف، كوصف النحلة والبرغوث وطبق الباقلاء والغمام والحراشف... وله شغف بالجناس وخياله واسع وموسيقاه يتملكه أحياناً الحدة نتيجة لطبعه الحاد وشعوره بغبن الزمن عليه ومن اغراض شعره: -

---

[1] المغرب ١ : ٨٥ .

[2] القصيدة كاملة في تاريخ الاندلس ، احسان عباس ٤١٢-٤١٤ .

[3] المطرب : ١٤٧-١٤٨ .

١- وصف الفتنة:

او ما يمكن تسميته بالشعر السياسي ويختلط كثيراً بقصائد المديح والفخر، وله قصيدة ميمية طويلة يتعرض فيها للفتنة وكيف انها نشرت ظلماتها بيد الظالم وتحول فيها الأذناب المغمورين الى قادة ورؤساء، وسادت الفوضى وضاعت الحقوق كأن الناس فقدوا ابصارهم يساقون ولا يدرون الى اين؟.

من فتنة قد أسبلتْ ظلماتها بيد المظالم
عمهت لها أحلامنا وكأنها أضغاث حالم
وتضاءلت أجرامنا فيها بموبقة الجرائم
وتحولتْ فينا الذنا بي الرأس وابن المجد راغم
وادار كل صغير قد ر المنتهى ارحى العظائم[١]

٢- الرثاء:

له شعر وافر في الرثاء، فقد رثى كثيراً من معارفه، منهم الوزراء وأصدقاؤه وفي رثاء الوزير ابي عبيدة حسان بن مالك قصيدة طويلة[٢] يبين فيها فداحة الخطب واثره في نفسه بعد ان هوى قمر مضيء مشرق، فساد الظلام واخذ يتخبط كالاعشى في الليل، كما له قصيدة في رثاء القاضي ابن ذكوان[٣] والوزير ابي

جعفر اللمائي[٤] فيذكر عظم المصاب والسقم المنشور على جسده بساعة الرحيل في الانتقال بين المرثى ورثاء النفس.

فقلت والسقم منشور على جسدي يحدو الردى ورداء العيش مطوي

---

[١] الذخيرة ١/١ : ٢٠٢ .
[٢] جذوة المقتبس : ١٨٣ ، معجم الادباء : ٧ : ٢٢١ .
[٣] النفح ٢ : ٢٤٣ ، المغرب ٢١٥/١-٢١٦ .
[٤] الذخيرة /١ : ٣٣٠-٣٣١ .

يقول ابن بسام " ولما طال بابي عامر ألمه وتزايد سقمه وغلب عليه الفالج هم بقتل نفسه " [١].

انـــــوح علـــــى نـــــفسي نبلهـــــا اذا انـــا فـــي الضـــراء ازمعـــتُ قتلهـــا

رضـــيتْ قضـــاء الله فـــي كـــل حالـــة علـــيّ واحكامـــــها تيقنـــت عـــدلها

اظـــل قعيـــد الـــدار تجنـــبني العصـــا علـى ضـعف سـاق اوهـن السـقم رجلهـا

ورثى نفسه وجعلته يتفجع عليها مصوراً حاله بصور شتى ومعان مختلفة، فهو يتذكر ما قضى من ايام اللهو والملاذ التي ذهبت من غير رجعة ولم يبق إلا الشعور بالخسران وضياع العمر.

تأملـتً مـا افنيـتُ مـن طـول مـدتي فـــــلم اره إلا كلمحـــــة نـــــاظر

وحصـلت مـا ادركـت مـن طـول لـذتي فلـــم الفـــه إلا كصفقـــة خاســـر[٢]

وقاده خياله ان يتمنى ان يسكن مكانا من جبل عالٍ بعد ان ادرك ان الموت لاحقه وكل يوم يرسل اليه نذيرا[٣].

ولمـــا رأيـــت العـــيش ولـــى برأســـه وايقنـــت ان المـــوت لا شـــك لاحقـــي

تمنيـــت أنـــي ســـاكن فـــي غيـــابة بـــاعلى مهـــب الـــريح فـــي رأس شـــاهق

وكان يتذكر اصحابه وايامه معهم ويبعث اليهم بتحياته[٤].

اقر السلام على الاصحاب اجمعهم وخـــص عمـــراً وبـــأزكى نـــور تســـليم

وعندما ايقن أنه مودع وصى ان يكتب على قبره في لوح رخام الاتي[٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[١] نفسه ١/١ : ٣٢٨ .
[٢] الذخيرة ١/١ : ٣٣٢ .
[٣] نفسه ١/١ : ٣٢٩ .
[٤] نفسه ١/١ : ٣٣١ .
[٥] نفسه ١/١ : ٣٣٤ .

".. قل هو ذبأ عظيم أنتم عنه معرضون " هذا قبر احمد بن عبد الملك ابن شُهيد المذنب مات و هو يشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، وان الجنة حق وان النار حق وان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور.

يـــا صـــاحبي قـــم فقـــد أطلنـــا انحـــن طـــول المـــدى هجـــودُ
فقـــال لـــي لـــن نقـــوم منهـــا مـــا دام مـــن فـــوقنا الصـــعيد
تـــذكركم ليلـــة لـــهونا فـــي ظلـــها والزمـــان عيـــد
وكـــم ســـرور همـــى علينـــا سحـــابة ثـــرة تجـــود
كـــل كـــأن لـــم يكـــن تقضـــى وشؤمـــه حاضـــر عتيـــد
حصـــله كاتـــب حـــفيظ وضمـــه صـــادق شـــديد

وتوفي رحمه الله وعمره لم يتجاوز اربعة وأربعين سنة[1].

ابن حزم الاندلسي (٤٥٦هـ):

هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم، لقب بالقرطبي وبالظاهري نسبة الى مولده ومذهبه، فقيه الاندلس وعالمها، صاحب التصانيف في الادب والجدل والفقه والاحكام، ومجدد مذهب داود الظاهري.

ولد من اسرة عريقة في الاسلام سنة ٣٨٤هـ، وكان ابوه وزيراً للمنصور بن ابي عامر، وهو من اصل ايبري اندلسي او فارسي على رواية اخرى، وشارك في الاستماع للمواعظ واحاديث العلماء في مجالس ابيه و هو صغير في الخامسة عشرة من عمره، وقد عهد الى النساء لتربيته وتحفيظه القرآن وروى الشعر على ايديهن، لذلك غلبت رقة في شبابه وحياء وخجل في مجالس الرجال وسوء ظن بالنساء لانه

[1] للتفاصيل عن حياته وشعره ينظر : مقدمة ابن شهيد الاندلسي / حياته وأدبه، د. حازم عبد الله وتاريخ الادب الاندلسي ، احسان عباس : ٢٧٠ – ٣٠٢ .

شاهد من اسرار النساء ما لايكاد يعلمه غيره، وتجاوز الامر الى علاقات عاطفية مبكرة.

كان للفتنة اثر في نفسه وفي حياته حتى انتهت به الى السجن الذي كان نقطة تحول في حياته، وتصرف بعدها الى التأليف والتصنيف ومناظرة العلماء وزعماء الاديان والملل مما ادى الى ان يتكالب عليه الاعداء فلم يستقر به المقام، فأخذ ينتقل من مدينة الى اخرى حتى استقر في مدينة صغيرة " لبله " موطنه الذي ولد فيه فأدركته المنية سنة ٤٥٦هـ رحمه الله[١].

ثقافته: رجل موسوعي، فهو فقيه ومحدث ومؤرخ ولغوي، ويقال بلغت تصانيفه ما يقارب اربعمائة مصنف ورسالة، وهو مجدد المذهب الظاهري وامامها، وواضع علم مقارنة الاديان، وفي الجانب الادبي فهو شاعر وكان له ديوان جمعه ابو عبد الله الحميدي صاحب جذوة المقتبس على حروف المعجم وقال عنه [٢] " كان له في الاداب والشعر، نفس واسع وباع طويل وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه " وهذه الشهادة دليل على عدم اكتراثه بالشعر بحيث يأتي دون روية واناة لذلك جاء الشعر عنده ثانوياً

كما كانت له اراؤه النقدية المبينة على الرؤية الدينية الخُلقية لذلك حرّم بعض الاغراض الشعرية او كرهها.

أبرز موضوعـــاته:

١- شعر الغزل والنسيب:

وهو اكثر موضوعاته الشعرية، واشعاره تعود الى مرحلة الشباب وهو متميز بعمق الشعوري مع عفة ترتفع عن الفحش والمجون، وفي كتابه " طوق الحمامة "

---

[١] الادب الاندلسي :٣٠٣ ، احسان عباس ، الادب الاندلسي : ١٥٨ ، د. منجد .
[٢] جذوة المقتبس : ٢٩٠ .

مقطعات كثيرة تعبر عن تجاربه وتجارب غيره واطول ابواب كتابه " فضل التعفف وقبح المعصية " ومن ابياته[1].

وددتُ بـــان القـــلب شُـــق بمديـــةٍ وأُدخلـتِ فيـه ثـم اطبـق فـي صـدري

فاصـــبحتِ فيـــه لا تحـــلين غيـــره الـــى مقتضـــى يـــوم القيامـــة والحشـــر

تعيشـين فيـه مـا حييـتُ فـأنْ أمُـت سـكنتِ شـغاف القلـب فـي ظلـم القبـرِ

وكتاباته تعكس مزجاً فريداً بين فقيه يفكر بقلبه ويكتب بعقله، بمنظور اسلامي.

٢- الفخر والرد على المنافسين:

وهو يمثله في مرحلة متقدمة من عمره بعد ان اشتدت خصومه واخذ يدافع عن ارائه، ومن ابياته يقول مخاطباً المعتضد بن عباد الذي أمر بحرق كتبه[2].

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضـمنه القرطـاس بـل هـو فـي صـدري

يسـير معـي حيـث استقـــلت ركـائبي ويـــنزل ان انـــزل ويـــدفن فـــي قبـــري

وله مقطعة يفتخر بنفسه فيقول:

أنـا الشمـــسُ فـي جـو العلـوم منيـرةٌ ولكـــــن عيبـــي أن مطلعـــي الغـــربُ

ولـو أننـي مـن جـــانب الشـرق طـالع لجـدّ علـى مـا ضـاع مـن ذكـرى النهـبُ

فـان ينـزل الرحـــمن رَحلـي بيـنهم فحينـــئذ يـــبدو التأســـف والكـــربُ

هـــنالك يـــدري أن للـــبعد قصـــةٌ وان كـــساد الـــعلم آفتـــه القـــربُ

٣- الشعر الاسلامي والفلسفي:

له قصيدتان ميميتان تنمان عن عاطفة دينية عنيفة وعن قيم خلقية، نشرهما د.احسان عباس في ملحق كتابه تاريخ الادب الاندلسي [3] مع قصائد أخرى فالقصيدة

---

[1] طوق الحمامة : ٩٣ .

[2] الذخيرة ١/١ : ١٧١ .

[3] تاريخ الادب الاندلس ،احسان عباس ، الملحق ٣٧٠-٤٠٢

الاولى في ثمانين بيتاً، يبدأ بالحمد والثناء لرب العالمين، وكيفية خلقه وينتقل الى الحديث عن نبوة محمد (ص) ومعجزاته، ومن ثم الوعظ واخذ العبرة من الأمم الغابرة، وتغلب على اسلوب القصيدة المباشرة والوعظ والارشاد حتى تقترب من الشعر التعليمي، وتدنو لغتها من لغة التخاطب.

ومطلع القصيدة

لــك الحـــمد يـــارب والشـــكر ثـــم لـــك الحمـــد مـــا بـــاح بالشـــكر فَـمْ

والقصيدة الاخرى في مئة وستة وثلاثين بيتاً في الرد على كاتب مرتد نال من الاسلام كما له اشعارٌ في الحكمة والزهد والتصوف وفي الرثاء والتفجع .

الدراسة الفنية:

١- غلبت على لغته واسلوبه السهولة لقوله الشعر على البداهة والارتجال.
٢- تأثر بعلوم عصره لاسيما المذهب الظاهري.
٣- يغلب على شعره الجانب التعليمي واسلوب المباشرة والمخاطبة عدا قصائده في الغزل ففيها العاطفة وبراعة النظم.
٤- فهو كاتب وفقيه قبل ان يكون شاعراً (**)

* للمزيد عنه يرجى مراجعة دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة د. الطاهر احمد مكي ، مكتبة وهبة ١٩٧٧ ، الجذوة : ٢٩٠ ، طبقات الأمم : ٨٦ ، المعجب : ٣٠ ، المغرب ١: ٣٥٤ ، الـذخيرة ١/١ : ١٤٠ ، الـنفح ١: ٣٦٤ ، البغيـة رقـم : ١٢٠٤ ، شـذرات الـذهب : ٣ : ٢٩٩.... ، وله تمثال حجر في مدينة قرطبة الاسبانية افتتح عند احتفالهم بذكراه المئوية التاسعة سنة ١٩٦٣ .

النـثر في عهد الامـوي

استمرت ضروب النثر على تقسيماتها المعروفة في عهد الولاية من الخطابة والرسائل والوصايا وبرز ضروب اخرى مثل المناظرات والمنافرات والمحاورات والمواعظ والوصف التي توجبها مظاهر الحياة الجديدة ـ ويمكن حصر أهم مميزات النثر في عهد الامارة والخلافة والفتنة بما يأتي: -

١- مهنة الكتابة:

كثر الكتاب واصبحت مهنة لها اصولها ولوازمها، وكانت تطلق لفظة الكاتب على كتاب الرسائل، وهو منصب رفيع لصيق بالحاكم، ورسائلهم تسمى بالرسائل الديوانية، وهي المراسلات بين الحكام وقادتهم من توجيهات ادارية وأوامر سياسية وعسكرية وكتب المبايعة وكتب التولية وعقود الامان وكتب الصلح وكتب التوبيخ او الاستفسار وغيرها، وقد وصف المقري كاتب الرسائل بقوله " فله حظ في القلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرف اسمائه الكاتب، وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة، واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغظون عن عثراته لحظة، فان كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه " [١] وجودة الخط ومعرفة انواع الرق والمداد والقلم من مستلزماتها اضافة اتصافه بصفات شخصية لائقة لبلاطات الحكام من الهندام واللباقة والدبلوماسية وكانت هنالك مهنة أخرى تسمى اصحابها بكتاب الزمام وهم مسؤولون عن شؤون الخراج[٢] ودخلت المرأة في ميدان الكتابة الرسمية، وقد اورد ابن عذاري اسماء كثيرة وقد برعوا في هذا الميدان،

---

[١] النفح ١ : ٢٠٢ .
[٢] الحلة السيراء : ١٩٢ .

منهم مُزنة كاتبة الخليفة الناصر[1] ولبنى كاتبة الخليفة المستنصر[2] وكتاباتهم تختلف عن الرسائل الاخوية او الشخصية التي تجري بين الادباء في المناسبات المختلفة.

وتميزت الكتابة الرسمية بتفضيل الايجاز والقصد في التعبير والقول وايثار المعنى والايماء والحدة في الخطاب، عدا الرسائل او الكتب التي كانت تستوجب التفصيل مثل كتب العهود والمواثيق والتولية، ومن امثلة الرسائل في فترة الخلافة: ما كتبه الحكم المستنصر على لسان ابيه الخليفة عبد الرحمن الناصر الى الفقيه ابي ابراهيم حين تخلف عن حضور الاعذار الذي صنعه الناصر لاولاده وقد جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم –حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك – لما امتحن أمير المؤمنين، مولاي وسيدي – ابقاه الله – الاولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدماً في الولاية متأخراً عن الصلة، على أنه قد انذرك، أبقاه الله، خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده، لا اعدمه الله توالى المسرة، ثم أنذرك من قبل ابلاغاً في التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك المعذرة واستبلغ امير المؤمنين في انكاره ومعاتبتك عليه فاعيت عليك عنك الحجة، فعرِّفني أكرمك الله ما العذر الذي اوجب توقفك... " [3] فرد الفقيه " قرأت ابقى الله الامير سيدي هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي، انما كان لامير المؤمنين سيدنا – ابقى الله سلطانه – لعلمي بمذهبه وسكوني الى تقواه واقتفائه لاثر اسلافه ورضوان الله عليهم – فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها ويطرق من قصادهم، فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه إن شاء الله تعالى " ومن أمثلة على الايجاز ما كتبه امية بن زيد كاتب عبد الرحمن الى بعض عماله يستقصره فيما فرط من عمله " اما بعد فإن يكن التقصير لك مقدماً فعند الاكتفاء يكون لك مؤخراً، وقد علمت بما قدمت، فاعتمد على أيهما احببت " [4](*).

---

[1] البيان المغرب : ٢ : ١٦٩ ، ترجمتها في الصلة : ١٥٣٠ ، وبغية الملتمس : ١٦٩٠ .
[2] الصلة : ١٥٢٩ ، البغية : ١٥٨٩ .
[3] النفح ١ : ١٧٧ .
[4] البيان المغرب ٢ : ٨٦ .

٢- **الخطابة:**

استقرت الخطابة في ذلك العصر على ما تعهد عليه في البدء باسمه تعالى والحمد له والثناء على نبيه الكريم ثم الدخول في الموضوع، وكانت المقدمة تطول وتقصر تبعاً لما يقتضيه الحال، ومن الخطب التي اشارت اليها الكتب خطبة البلوطي، تلك الخطبة التي القاها الفقيه منذر بن سعيد البلوطي في حفل الاستقبال الذي اقامه عبد الرحمن الناصر لسفير امبراطور الروم البيزنطية، حيث وقف ابو علي

القالي ليخطب بين الناس، فافتتح بحمد الله والثناء على الرسول، واستغلق عليه الامر ولم يتمكن، فقام من مكانه وكمل الخطبة، و هي خطبة مشهودة أوردها ابن عذارى في البيان المغرب [١] .

٣- **المحاورات:**

التي كانت تجري في بلاط الامراء، ومن المحاورات الطريفة التي دارت بين عبد الناصر والفقيه منذر بن سعيد، وكان الاول قد اسرف في تزيين قبة بالذهب والفضة، وسأل حاشيته وجلساءه، فاكبروا صنعه وأشادوا بها إلا الفقيه اعلاه قال: " يا أمير المؤمنين، ما ظننت إن الشيطان – لعنه الله – يبلغ منك هذا المبلغ، ولا ان تمكنه من نفسك هذا التمكين – مع ما اتاك الله من فضله ونعمته، وفضلك به على العالمين – حتى ينزلك منازل الكافرين " فانفعل الناصر وقال له: "أنظر ما تقول، وكيف انزلتني منزلتهم " ؟

فقال له المنذر: نعم أليس الله تعالى يقول "ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون "

فوجم الخليفة: واطرق مليا ثم قال: -

---

* على الطلبة تحليل النصين اعلاه .

[١] البيان المغرب ٢ : ٢٩٧ .

" جازاك الله يا قاضي عنا و عن نفسك خيراً، و عن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر من امثالك، فالذي قلت هو الحق "[1] وللفقيه محاورة اخرى معه بعد انشغاله ببناء قصر الزهراء وعدم حضوره صلاة الجمعة لثلاثة اسابيع[2].

٤- ظهور حركة النقد، والدعوة الى التفصيل والابتعاد عن الايجاز المبهم:

و من ذلك ما قاله ابن حزم الاب " إني لأعجب ممّن يلحن في مخاطبة او يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة لانه ينبغي له اذا شك في شيء ان يتركه ويطلب غيره فالكلام اوسع من هذا " ويبلغ هذا النقد ذروته عند ابن شهيد ضد المؤدبين الذين يعجزون عن تعليم البيان[3].

٥- تنوع أساليب النثر وتميز أصولها وطرائقها وأساليبها:

نتيجة لظهور حركة النقد وفهم تنوع اساليب النثر و عدم الاعتماد على تقليد المشارقة حصراً، وانتقالهم من طريقة الجاحظ وسهل بن هارون الى طريقة بديع الزمان الهمذاني، يقول ابن شهيد " ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الاول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من اهل البيان... ثم دار الزمان دورانا فكانت احالة اخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب... ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف وبرقة الكلام كلف، فكانت إحالة الى طريقة البديع وشمس المعالي واصحابهما "[4].

---

[1] النفح ١ : ٢٦٨ .
[2] النفح ١ : ٦٦ ، ٣٦٧ .
[3] الادب الاندلسي : ٣٣٠ ، احسان عباس .
[4] الذخيرة ١/١ : ٢٠٧ .

٦- **ظهور حركة التأليف الأدبي: -**

أ – النثر الفني:

وهو التأليف الذي يعتمد على الصنعة ويلعب الخيال دوراً في صياغتها وكان الاندلسيون يحتفون بالاثار الكتابية، واشتهر بعض الرسائل شهرة واسعة عندهم، فقد ورد في الجذوة ان رسائل ابن دراج كان الناس يتناقلونها ويعجبون بها وهي مستقلة عن الكتابة الديوانية، ويتخذ موضوعات من الحياة في ترتيب[١] افكاره وصوره، وهو يمثل نقلة نوعية في النثر الفني الانشائي، كرسائل ابن شهيد مثل رسالة التوابع والزوابع، ورسائل ابن برد الاصغر في المفاضلة بين السيف والقلم والرسائل التي جمعها الحميري في كتاب البديع في وصف الربيع في التفاضل بين الازهار المختلفة، وفي عصر الطوائف رسائل ابن زيدون فيما يسمى بالرسالة الهزلية والرسالة الجدية ورسائل ابن خفاجة النثرية في وصف الطبيعة، وكانت تلك القطع النثرية تتميز بأساليب كتابها، فابن زيدون كان مكثراً للاقتباسات والتلميحات والاشارات وابن حيان كانت كتاباته انعكاس لشخصيته في الحدة والعنف وكثرة المتعاطفات والاغراب في الاشتقاقات وابن حزم كان يعتمد على البساطة في التعبير دون الالتفات الى المزينة اللفظية والسجع لغلبة المضمون على كتاباته، بينما كانت رسائل ابن شهيد في التوابع والزوابع قريبة من اسلوب المقامات ولاسيما رسائله في صفة البرد والنار والحطب ورسالته في الحلواء كما تتبين لاحقاً في حديثنا عن تلك الرسالة الخيالية.

---

[١] الجذوة : ١٠٤ .

ب- كتب تاريخ الادب والتراجم:

أُلفت معظم هذه الكتب معارضة لكتب مشرقية، و هي مزيجة بين التاريخ والادب والاخبار والمختارات والتراجم ومن هذه الكتب " طبقات الشعراء بالاندلس " لعثمان بن ربيعة القرطبي " معارضة لكتاب"طبقات الشعراء" لابن سلاّم، واخبار الشعراء بالاندلس لمحمد بن هشام المرواني وشعر الخلفاء من بني امية " لابن مغيث على وفق ما عمله الصولي في الاوراق عن خلفاء العباسيين وكتاب الحدائق لابن فرج الجياني عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الاصبهاني وتاريخ شعراء الاندلس وكتاب " المؤتلف والمختلف " لابن الفرضي[1] وغيرها من الكتب التي لم تصلنا إلا القليل.

ج- المؤلفات الادبية:

ونعني بها الكتب الادبية التي يكون فيها التهذيب والتأديب ككتب التي ظهرت في الشرق مثل كتب الجاحظ والمبرد وابي الفرج الاصفهاني وقد جمعت هذه الكتب بين طياتها مختارات من الشعر والنثر التاريخ والطرائف وبين اللغة والرواية والبلاغة والنقد، وهي كتب ثقافية وغذاء للروح ومن هذه الكتب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وطوق الحمامة لابن حزم الاندلسي، وكتاب الحدائق لابن فرج الجيابي، وكتاب " الفصوص " لصاعد البغدادي وكتاب الامالي للقالي وغيرها وقد اخترنا ثلاثة كتب يعود كل واحد منها الى حقبة زمنية مختلفة وهي: -

١- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، وأُلف في عهد الامارة في ظل عبد الرحمن الناصر.

٢- رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد والفت في حقبة الفتنة.

٣- طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم، الف في عصر ملوك الطوائف

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٥٤ ، هيكل .

كتاب العِقد الفريد

وهو كتاب اخبار وادب ونوادر ومن امهات الكتب العربية، ألفه ابن عبد ربه الاندلسي (٢٤٦-٣٢٨ هـ) [١] وانتهى من تأليفه قبيل وفاته بستة اعوام ويمثل قمة نضوجه الفكري والثقافي، طبع لمرات عدة، منها طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت في سبعة مجلدات، نظم الكاتب كتابه على شكل عِقد وقسمه الى عدة فنون، جعل ابواب كتابه خمسة وعشرين باباً، فكل باب باسم جوهرة، واختار اثنتي عشرة جوهرة لابواب الكتاب وقابلها باثنتي عشرة اخرى ثم جعل الواسطة الخامسة والعشرين كما جعل لكل حجارة كريمة في العقد مثيلتها في النصف الآخر، وجعل كل كتاب منها جزئين فاجتمع منها خمسون جزءاً بدأها بكتاب اللؤلؤة في السلطان ثم كتاب الفريدة في الحروب ثم كتاب الزبرجدة في الاجواد الى رقم (١٢) كتاب المجذبة في الاجوبة، و(١٣) كتاب الواسطة في الخطب ثم قابله باثنتي عشرة جوهرة أخرى.

وفي كتاب اللؤلؤة الاولى في السلطان (٢١-٨٩) تناول الموضوعات الآتية:

التعريف بالسلطان، نصيحة السلطان ولزوم طاعته، ما يصحب به السلطان، اختيار السلطان لاهل عمله، حسن السياسة واقامة المملكة، بسط المعدلة ورد المظالم، صلاح الرعية بصلاح إمام، قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه، صفة الامام

---

[١] هو احمد بن محمد يكنى بابي عمر ، نشأ في قرطبة ،واتصل بعلماء عصره ، كما اتصل بأمراء الدولة الاموية ، محمد بن عبد الله الاوسط وابنيه المنذر وعبد الله وقال فيهم مدائح كثيرة ، كما له أرجوزة في غزوات عبد الرحمن الناصر ٤٤١ بيتاً وأرجوزة في العروض (١٩٢) بيتاً ، وشعره مجموع بعنوان " شعر ابن عبد ربه " من قبل محمد بن تاويت ، المغرب الرباط ، ١٩٧٨ ، ورسالة ماجستير " شعر ابن عبد ربه جمعاً وتحقيقاً ودراسة " د. موسى رزق ريحان ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ ، وجمع آخر بعنوان " ديوان ابن عبد ربه " ، محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩ (سلسلة دراسات اندلسية) ، وله قصائد ومقطعات كثيرة في الغزل ، وجاءت معظمها في باب الشواهد الشعرية ، لذلك جاءت باهتة وله قصائد كثيرة في الاداب الاسلامية ، نظم معظمها في سياق الامثال في عقده وهو شاعر التقليد والمعارضة ، كما تتبين لاحقاً في موضوع المعارضات الشعرية ، توفي سنة ٣٢٨ هـ بعد ان اصيب بالفالج ، الجذوة : ١٧٢ ، المطمح : ٢٧٠ ، وفيات الاعيان : رقم ٤٥ ، رايات المبرزين رقم ٦٤ ، معجم الادباء ٤ : ٢٢٢ ، مقدمة كتاب العقد .

العادل، هيبة الامام في تواضعه، حسن السيرة والرفق بالرعية، ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم، التعرض للسلطان والرد عليه، تحلم السلطان، المشورة، حفظ الاسرار، الاذن، الحجاب، باب الوفاء والغدر، الولاية والعزل ومن احكام القضاة.

منهجهُ: يختار الاخبار الجديرة بالجمع ثم ينسقها على وفق الموضوعات المتشابهة في ابواب محددة، وحذف الاسانيد والرواة على سبيل الايجاز.

مصادرهُ: الثقافة العربية الاسلامية التي سبقته مثل عيون الاخبار لابن قتيبة والبيان والتبيين والبخلاء والحيوان للجاحظ والكامل للمبرد وطبقات الشعراء لابن سلام والسيرة لابن هشام ودواوين الشعراء.

صدى الكتاب: اقترن الكتاب بمقولة للصاحب بن العباد، انفرد ياقوت الحموي بذكرها فقال "... هذه بضاعتنا ردت الينا، ظننت إن هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلاد هم واذما مشتمل على اخبار بلادنا لا حاجة لنا فيه فردّه "[1] وبسبب المهاجاة التي كانت بينه وبين معاصره محمد بن يحيى القلفاط (٣٢٢ هـ)الف كتابا سماه" حبل الثوم "[2] مما يدل على الصراع الادبي أو المعركة الثقافية التي كانت بين المشارقة والاندلسيين او بين الاندلسيين فيما بينهم.

---

[1] معجم الادباء ٤ : ٢١٤ .
[2] النفح ٢ : ٢٩٤ .

هدف تأليف الكتاب.

١- تعريف اهل الاندلس بالمشرق ونقل الاخبار والمعلومات من مصادرهم لان الاندلسيين مغرمون بكل ما هو مشرقي.
٢- تعريف اهل المشرق بأهل الاندلس وعرض جانب كبير من اخبارهم.
٣- تقوية ثقة اهل الاندلس بأنفسهم، وانهم قادرون على منافسة المشرق.

اهمية الكتاب.

١- حوى اخبارا وطرائف مصاغة باسلوب ادبي رائع.
٢- اشعار المؤلف التي انتظمت بين اجزاء الكتاب وهي تقارب الف بيت.
٣- الاشعار التي اوردها لشعراء الاندلس مثل يحيى الغزال وعباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وغيرهم.
٤- النصوص النثرية والمقدمات التي صيغت بعناية ادبية كبيرة ووصفه احمد هيكل بقوله " والكتاب عظيم القيمة من النواحي التاريخية والادبية والعلمية، وهو ذخيرة ادبية حافلة بالنصوص القيمة شعراً ونثراً في شتى الفنون والاغراض والمواقف، وهو موسوعة ثقافية عربية عامة فيها اللغة والنقد والعروض، بل فيها الموسيقى، وهو الى ذلك مصدر لمعرفة كثير من تاريخ واخبار حكامها وعادات اهلها... ونثره خال من التكلف أقرب الى الوضوح والسلاسة مع ميل شديد الى الاقتباس والاستشهاد وايراد مأثور القول مع رغبة في التزيين والسجع في بعض الاحايين " [١] وهذا يتوافق مع قول ابن عبد نفسه في مقدمة الكتاب قوله:

" وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متصرفة في فنون الاخبار ولا جامعة لجل الآثار، فجعلت هذا الكتاب جامعاً لاكثر المعاني التي تجري

[١] الادب الاندلسي : ٢٥٨-٢٦٠ ، هيكل .

على افواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا إن لمغربنا على قاصية، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور " وكتب دراسات كثيرة عن هذا الكتاب[1].

طوق الحمامة في الألفة والآلاف: والمشهور بـ طوق الحمامة: للفقيه والنسابة والمؤرخ والمتكلم المتفلسف والشاعر وحامل لواء الثقافة الاندلسية في عصره علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ)، وهو رواية ذاتية في فلسفة الحب، يتناول العاطفة الانسانية معتمداً على التجربة والملاحظة والتحليل النفسي واستخلاص النتائج لقصص واقعية صريحة في غير تكلف او سجع عن الحب العذري العفيف وتجاربه فيه وتجارب معاصريه وما له سلطان على النفوس وما يثير من ألام وشكوى وضحايا وتحديد لمعالم المحبيين وشخصياتهم المستقبلية، وان الحب بين النفوس لا بين الاجسام وصنف كتابه على هيئة رسالة جعل من مقدمتها سبباً لتأليف الرسالة وهي رد على سائل بعث اليه صديق له يسأله عن صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه، وهو تسويغ لتسطير كتابه لانه رجل فقيه وعالم في الكلام وليس في الحب.

أسباب تأليف الكتاب.

١- **تربيته المبكرة على يد النساء ومعرفته لاسرارهن:** " لقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن ما لايكاد يعلمه غيري لأني رُبّيت في حجورهن ونشأت بين ايديهن، ولم اعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وانا في حد الشباب، وهن علمنني القرآن ورويننني كثيراً من الاشعار ودربْذني في

---

[1] منها : رسالة د. جبرائيل جبور بعنوان " ابن عبد ربه وعقده " سنة ١٩٣٣ ، ووقف د. محمد رضوان الداية على الجانب النقدي منه في كتابه " تاريخ النقد الادبي في الاندلس ٢٨٠-٢٨٣ ، بينما وازن د. حازم عبد الله خضر في بحث له الكتاب بين المشرق والمغرب بعنوان " العقد الفريد بين المشرق والاندلس ، مجلة اداب الرافدين ، الموصل ، ١٩٧٦ ودراسات اخرى كثيرة .

الخط " [1] لذلك غلب عليه الخجل والحياء، وهو سبب رئيس في عدم بلورة بعض تجارب الحب عند كثير من ذوي الخلق الرفيع.

٢- حبه من جانب واحد لجارية في بيته، كلف بها طول حياته، وفي ذلك يقول " وأني لاخبرك عني أني ألفتُ في أيام صباي أُلفة المحبة جاريةً نشأت في دارنا وكانت قي ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً، وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفر ها دماثتها، عديمة الهزل، منيعة البذل، فقيدة الذَّام [2] قليلة الكلام، غضيضة البصر، شديدة الحذر نقيةً من العيوب، دائمة القطوب، حلوة الاعراض، مطبوعة الانقباض... كانت تحسن العود إحساناً جيداً، فجنحت اليها وأحببتها حباً مفرطاً شديداً، فسعيت عامين او نحوها أن تجبني بكلمة، واسمع من فمها لفظة، غير ما يقع في الحديث الظاهر الى كل سامع... ويستمر حديثه عنها الى يـوم كانت عندهم وليمة وتجمع النساء " كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويُطّلع منها قرطبة وفحوصها[3]، مفتحة الابواب، فصرن ينظرن من خلال الشراجيب[4] وانا بينهن، واني لاذكر أني كنت اقصد نحو الباب الذي هي فيه، أُنساً بقربها، مُتعرِّضاً للدنو منها، فما هي إلا ان تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره مع لطف الحركة... ثم نزلن البستان، فرغب عجائزنا وكرائمنا الى سيداتها في سماع غنائها، فأمِرَتْها فأخذت العود وسوّته بخفرٍ وخجلٍ لا عهد بمثله... ولعمري لكأن المضراب كان يقع على قلبي، وما نسيت ذلك اليوم، ولا انساه الى يـوم مفارقتي الدنيا[5] ثم تحدث الفتنة ويفارق قرطبة ويراها بعد بضع سنوات في جنازة لبعض

---

[1] طوق الحمامة : ٤٨ .
[2] الذام : العيب .
[3] الفحوص : الضواحي .
[4] الشراجيب : الشبابيك او القوائم .
[5] طوق الحمامة : ٢٠٥ .

اهلـه باكيـة نادبـة، فأثـارت فيـه وجـداُ دفينـا وحركـت سـاكنا وزاد الشـجا وتوقدت اللوعة ورآها مرة اخرى بعد خمسة اعوام فقد غاض الحسن وذهبت نضارتها لفقدها الصيانة التي كانت لها في قصر ابيه وايام عزه، ويقول أنه مع ذلك لو انالته أقل وصل واذست له بعض الانس لُجنّ طرباً او لمـات فرحـاً.. [1] ويلاحـظ ان ابـن حـزم لـم يصـف مظاهرهـا الجسـمية والشكلية، واكد على ظاهرة الحياء والعفة والطهارة وهي من مظاهر الحب العفيف.

٣- وفاة زوجته وكانت جارية في غاية الحسن خَلقاً وخُلقاً، ولم يلبث القدر ان فجعه فيها وهو دون العشرين فالتاع لوعة شديدة حتى يقول انه اقام بعدها سبعة اشهر لا يتجرد عن ثيابه وانه لم يطب له عيش بعدها[٢].

٤- شعوره بالغربة، وتعرضه للسجن والهجرة والفاقه، وكتابه حديث اديب مهاجر غريب، احب ان ينفس عن نفسه بذكر ماض قلبه وما يعرف عن قلوب الاخرين علماً أنه ألف كتابه سنة ٤١٨ او ٤١٩ للهجـرة وهو في منتصف العقد الثالث من عمره [٣].

أبواب الكتاب.

جاء في مقدمة كتابه " وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً، منها في اصول الحب عشرة، فاولها باب في ماهية الحب ثم باب في علامات الحب ثم باب في ذكر من احبّ في النوم، ثم ذكر باب فيه ذكر من احب بالوصف ثم باب فيه ذكر من لا تضع محبته إلا مع المطالعة ثم باب التعريض بالقول ثم باب الاشارة بالعين ثم باب المراسلة ثم باب السفر، وفي اغراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر

---

[1] المصدر نفسه.
[2] طوق الحمامة : ١٧٩ .
[3] نفسه : المقدمة .

باباً ومن ثم الافات الداخلة على الحب ستة أبواب، وبابان ختما بهما الرسالة هما باب الكلام في قبح المعصية وباب فضل التعفف.

أهمية الكتاب.

١- عامل دين يكتب عن الحب، وقد سوّغ عمله بقوله " ان الحب ليس بمذكر في الاديان ولا بمحظور في الشريعة، اذ القلوب بيد الله عز وجل " كما حاول تهوين التحرج بأثار رواها " اجمعوا النفوس بشيء من الباطل عونا لها على الحق " " اريحوا النفوس، فأنها تصدأ كما يصدأ الحديد "

٢- نهاية الكتاب " باب قبح المعصية وباب فضل التعفف " تتضح عفة ابن حزم وتجذره الديني الاصيل وسعة بابه في فن الحديث، رواية ودراية كما تبين عمق نظرته الاخلاقية الواقعية.

٣- دراسة نفسية تحليلية لما مضى في حياته وما كان يعانيه من خلق وضيق نفسي والاشمئزاز من المصير " فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي متهضم بما نحن فيه من نبوّ الديار والجلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد الاحوال وذهاب الوفر " وفي الكتاب تحليل نفسي ذاتي لحياته وللشخصيات التي تقوم ببطولة الحكايات التي سيقت في اطار تاريخي كاشف طبيعة مشاعرهم واذواقهم بما في ذلك انحرافات وضلالات بعض الرجال الذين ينتمون الى قرون بعيدة.

٤- تصوير واقعي لقصص كثيرة تكشف كثيراً من الحياة الاندلسية واسرار حكامها وما في البيوت والقصور من الاسرار.

٥- تضمن الكتاب ابياتاً شعرية كثيرة تراوحت بين الجودة والتوسط، كما احتوى نصوصاً نثرية بعيدة عن الصنعة والتكلف فهو يؤثر البساطة والدقة.

٦- ثقافته الواسعة، العقلية والدينية التي انعكست على اسلوبه فيورد المصطلحات الفلسفية والمنطقية ويهتم بالعلل والمقدمات والنتائج.

٧- ترجم الكتاب الى لغات عدة، وكتبت عنه دراسات كثيرة[١].

نموذج من مقطع له

باب فضل التعفف.

"... وان من هام قلبهُ، وشُغَل باله، واشتد شوقُه، وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يقهر دينه، ثم أقام العدل لنفسه حصنا وعلم أذها النفس الامارة بالسوء، وذكرّها بعقاب الله تعالى، وفكر في اجترائه على خالقه و هو يراه، وحذرها من يوم الميعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز، الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة، ونظر بعين ضميره، الى انفراده من كل مدافع بحضرة علاّم الغيوب " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... " ثم يأتي بحوادث وقصص تيسر لهما الرذيلة وأغواهما الشيطان إلا ان صاحبه ابي وخاف الله انقياد لقوله (صلى الله عليه وسلم) " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... رجلُ دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: أني اخاف الله... " يخاف الله ويخاف تبعاتها في الدنيا والآخرة.

** * *

رسالة التوابع والزوابع (شجرة الفكاهة): [٢]

رسالة خيالية قصصية نقدية لم تصلنا كاملة، اورد ابن بسام فصولا منها في ذخيرته، كتبها الشاعر والاديب ابو عامر ابن شهيد بين سنتي ٤١٤-٤١٥ باسلوب المقامات متصوراً نفسه في رحلة مع جني اسمه " زهير بن نُمير " الى ارض الجن، ويلتقي هناك بتوابع الشعراء والكتاب، ويُجري معهم محاورات ومناظرات ادبية شعراً ونثراً، فينتزع اعجابهم وتقديرهم.

---

[١] ينظر مقدمة : محقق الكتاب ،تحقيق د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، مصر ، و هامش كتاب الدول والامارات ، شوقي ضيف ، ٤٩٤ .

[٢] التوابع : جمع تابع : الجني (او الجنية) الذي يتبع الانسان حيثما ذهب وان لكل انسان تابع.

الزوابـع: جمـع زوبعـة، اسـم شـيطان الـذي يكنـى الاعصـار الـذي يرتفـع فـي السماء، واللفظان من الاوابد.

بواعث تأليف الرسالة:

١- شعوره بان الادباء والنقاد لم يعطوا حقه من التكريم والمنزلة الادبية، وكانوا يكنون له الحقد والكيد.
٢- السخرية من مناوئية لاسيما الاديب الكاتب ابو القاسم الافليلي.
٣- استحصال الاجازة والتقدير والاعجاب من فحول الشعراء والكتاب.

فصـول الرسالة:

المقدمة: جعل ابن شهيد صدر رسالته مدخلاً ليعلل به رحلته الى عالم الجن فقداورد على لسان ابي بكر بن حزم صديقه اعجابه ببراعته الشعرية على صغر سنه " كيف اوتي الحكم صبيا وهزّ بجزع الكلام فاسقط عليه رُطباً جنيا " قائلاً وان كان قليل الاطلاع، ذو موهبة طبيعية حيث عزاها الى تابعة تنجذه وزابعة تؤيده لأن تلك الشاعرية ليست في قدرة الانسان على رايه، ويقوده خياله الخصب، انه في مطلع شبابه، مات من يهواه، فجزع عليع جزعاً شديداً وقصد رثاءه، فاستغلق عليه ونظم ابياتاً قليلة، لم يستطع ان يكمل حتى اسعفه فارس يمتطي فرساً ادهماً ويصيح: أعجزاً يافتى الانس ثم يجيز أبياته، ويسأله عن شخصيته فيخبره بانه زهير بن نُمير من اشجع الجن، وتتفق الصحبة بينهما، وهو اشجعيّ مثله أي ان قبيلة من الانس يقابله قبيلة عند الجن، وأنهم جميعاً ليسوا قباح الصور وانهم مخلوقون حسب الصور التي يمثلونها من بني الانس لذلك كان فيهم على شكل الحمار والبغل والاوزة لان الانس في طبائعهم هذه الاشكال نفسها على راى ابن شهيد، فيرحل معه على متن جواده، فينزل ارضاً متفرعة الشجر كثيرة الزهر، ليست كارضنا وجّونا، مع ذلك أنه لا يميزها بشئ خاص، وهنالك اراد ان يلتقي تابعي الاموات وبعض الاحياء.

الفصل الأول: يتعرف على توابع الشعراء، صاحب امرئ القيس وطرفة بن العبد وقيس بن الخطيم، وفي صاحب امرئ القيس يقول: " فظهر على فرس شقراء كأنها تلتهب " وفي طرفة يقول: وركضنا حتى انتهينا الى غيضة شجرها شجران: سام يفوح بهاراً وشجر يعبق هنديا وغاراً، فرأينا عينا معينة تسيل ويدور ماؤ ها فلكيا ولا يحول... فبدا الينا راكب جميل الوجه قد توشح السيف واشتمل عليه كساء خز وبيده خطي وهو شيطان طـرفة واسمه عنتر بن العجلات، فيرحب بهما ويستنشد ابن شهيد شيئاً من شعره، فيجيبه في ادب جم: الزعيم اولى بالانشاد، فينشد الشيطان قصيد طرفة.

لسُعْدي بـجزّان الشُّـريف طُـلولُ

فينشده ابو عامر ابن شهيد قصيدته:

أمـن رسـم دار بالعقيق مُحيلُ

وما أن ينتهي من الانشاد حتى يصيح الشيطان: لله أنتَ، اذ هب فانك مجاز، ثم يغيب عنهما، ثم يقابل توابع المحدثين الذين تربطهم به رابطة محاكاة او معارضة، أبي تمام والبحتري وابي نواس والمتنبي من العباسيين وبصورهم وبيئتهم على الهيئة التي يتصورها عنهم مثلاً:

عندما يسأل عن صاحب ابي نواس يقول له زهير " أنه بدير حنة منذ اشهر، قد غلبت عليه الخمر "

الفصل الثاني: يلتقي بتوابع الكتاب، فيلتقي في مجلس واحد بتابعي الجاحظ وعبد الحميد الكاتب ثم يقرأ عليهما رسالته في صفه " البَرْد والنار والحطب " فاستحسناه ثم يورد رسالته في وصف الحلواء على مختلف انواعها فيقول في الزلابية: ويلٌ لامها الزانية، أبِأَ حشائي نسجت، أم مِن صفاق[1] قلبي، أُلِّفتْ.؟ فاني اجد مكانها من نفسي مكينا، وحبل هواها على كبدي متيناً... " ثم انتقل الى معاصريه من اعدائه، فصور اشدهم عليه ابا القاسم بن الافليلي بصورة كاريكاتيرية مضحكة،

[1] صفاق : غشاء

وحوار فيه سخرية، ثم يلتقي بصاحب بديع الزمان الهمذاني فيقترح عليه ان يصف جارية فيصفها، ويطلب ابن شهيد ان يسمعه وصف للماء فيقول بديع: ذاك من العقم فيثور ابن شهيد، ويولد للماء وصفا جديداً، فيعتاظ صاحب بديع ويضرب برجله الارض وينزل الى باطن الارض.

الفصل الثالث: فصل نقدي: ينتقل مع تابعه الى مجلس من مجالس الجن، يتذاكر معهم ما تعاورته الشعراء من المعاني، من زاد فاحسن، ومن قصر في الاخذ، فيورد امثلة ونصوصاً لشعراء: الافوه الاودي والنابغة الذبياني وابي نواس وصريع الغواني وابي تمام والمتنبي وغيرهم لكي يظهر براعته في تتبع المعاني.

الفصل الرابع: المشهد الاول: يلتقي بقطيع من حُمر الجن وبغالهم ويحتكم في قصيدتين لبغل وحمار، ويوظف المشهد للسخرية بخصومه.

المشهد الثاني: يقف على بركة ماء يتحدث مع اوزة جميلة فصيحة ناقدة نحوية لغوية اسمها العاقلة وكنيتها أم خفيف، وتدخل مع أبي عامر في مناظرات لغوية وهو يهرب منها لانه أي ابن شهيد يحسن الشعر والخطابة اكثر من احسانه النحو، ويصف تلك الاوزة وهي ساكنة ومتحركة، قوله " وكانت بالقرب منا اوزة شهلاء، في مثل جثمان النعامة، كأنما ذرّ عليها الكافور، او لبست غلالة من دمقس الحرير، لم ار أخف من رأسها حركة.... "

الرسالة بين التجديد والمحاكاة:-

١- كان العرب لهم اعتقاد راسخ بوجود الجن، وقد اقر القرآن الكريم وجودهم وفصل الجاحظ في عاداتهم وتقاليدهم، ولكن ابن شهيد وضعهم في عالم آخر غير عالمنا .

٢- ايمان شعراءالجاهلية بالشياطين التي تعينهم على قول الشعر، كقول أبي النجم العجيلي: -

أنـــي وكـــل شـــاعر مـــن البشـــر شيطـــانه أنثـــى وشـــيطاني ذكـــر

وللبحتري قوله في وصف ديوان كسرى:

لـــيسَ يـــدري أصـــنع انـــسٍ لجـــنٍ سكنـــــوه أم صـــــنع جـــن لانـــس

٣- **الانتقال الى العوالم الاخرى:** الايمان باليوم الاخر من ثوابت الاديان السماوية، وفي التاريخ الاسلامي امثلة على الانتقال الى العوالم الاخرى، فالآدم (ع) انتقل من الجنة الى الارض، والنبي ادريس صعد السماء، وحديث الاسراء والمعراج للرسول الكريم، وفي الادب اليوناني والروماني، أمثلة كثيرة على الانتقال الى العالم السفلي، وفي الياذة هوميروس التي كتبت شعراً سنة (٩٠٠ق م) وردت فيها احاديث كثيرة عن الحياة الثانية وعالم الموتى، وفيها وصف لظلمات الجحيم وانهار جهنم ونعيم الجنة وذكر الشفاعة وميزان القضاء العظيم وفي ملحمته الثانية " اوديسة الجزء الثاني عشر يرحل الاوذيس الى منازل الموتى ويقابل ارواح رفاقه، وفي القرن الرابع (ق. م) عرض الشاعر الكوميدي ارستوفان (٤٤٨-٣٣٨ ق. م) مسرحية عظيمة باسم الضفادع ينتقل الى عالم الموتى ويتناول معهم المشكلات الادبية والنقدية، اضافة الى موضوعات متشابهة في الادب البهلوي في انتقال المصلح (اردا ويراف) الى البرزخ الاعلى ورجوعه الى الارض لوعظ الناس، وما ورد في اساطير الاولين عند قدماء المصريين في اسطورة ايزيس وازوريس في الصراع بين اله الخير واله الشر وعند البابليين في صعود اله مردوك الى السماء [١].

٤- تشابه رسالة التوابع والزوابع مع رسالة الغفران لابي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) اذ انتقل الاول الى عالم الجن والثاني الى عالم الآخرة ومحاوراتهما للادباء والشعراء فيعرض للمشكلات الادبية باسلوب قصصي، وتغليف رسالتيهما بما يناسب شخصيتهما، وقد بذل الكتاب جهوداً كبيرة في

---

[١] للمزيد عن هذا الموضوع : ينظر بحثنا الموسوم (العوالم الاخرى في تصورات الادباء " مجلة زانكو ، الدراسات الانسانية عدد / ٦ لسنة ٢٠٠١ ، السليمانية .

بيان تأثر احدهما بالآخر ومن عدمه[1] متغافلين عن المؤثر الرئيس الذي هو المقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ) .

٥- المقامة الابليسية: ان قصة ابن شهيدفيها تشابه كبير من حيث الفكرة مع المقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ هـ) ويروي إن بطله فقد إبله فخرج في البحث عنه فوجد نفسه في وادٍ فيه اشجار باسقة واثمار يانعة وازهار منورة، والتقى بشيخ جالس، فأنس معه وسأله عما يروي عن اشعار العرب، فانشد شعراً لامرئ القيس وعبيد بن الابرص ولبيد العامري وطرفة بن العبد، فلم يطرب الشيخ، وأنشد قصيدة مطلعها:

بــانَ الخــيطُ ولــو طوّعــت مــا بانــا وقطّعــوا مــن حبــال الوصْــلِ أقرانــا

ويكتشف ان القصيدة للشاعر الاموي جرير، فيتهرب الشيخ، ويطلب ان ينشده قصيدة لابي نواس، فينشده البطل سينية أبي نواس: -

لا أنــدبُ الــدهرَ ربْعــا غيــر مــانوس ولســت أصــبو الــى الحــادين بــالعيسِ

وهي قصيدة فيها الكثير من المجون، فطرب الشيخ وشهق وزعق، فقال له " قبحك الله من شيخ لا أدري أ بانتحالك شعر جرير أنت اسخف أم بطربك من شعر أبي نواس.. " فيرد عليه الشيخ رداً طويلاً شبيه بما كتبه ابن شهيد ويكتشف ان الشيخ شيطان جرير وهو الذي اوحى اليه نونيته ويغيب الشيطان ويختفي.. ومن هذا تبين ان ابن شهيد اخذ الفكرة من المقامة وتوسع بها بما يلائم شخصيته وغرضه من كتابة الرسالة، اضافة الى ذلك أن للبديع مقامة باسم الحمدانية، فيها وصف للفرس يشبه وصف الاوزة عند ابن شهيد كما له المقامة الجاحظية فيه وصف لبلاغة الجاحظ وابن المقفع الذي يتشابه مع وصفه لبلاغة الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، وتأثير

[1] ينظر رسالة الغفران ، بنت الشاطئ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ ، والبحث الموسوم رسالة التوابع والزوابع وعلاقته برسالة الغفران ، عبد السلام الهراسي ،مجلة المناهل المغربية العدد / ٣٥ لسنة ١٩٨٢ .

المقامة المضيريه كبير في وصف الاطعمة ولاسيما الحلواء، كما تأثر بالمناظرات التي وردت في ديوان رسائل الهمذاني التي جرت بينه وبين الخوارزمي ولاسيما الاسلوب والفكرة، ورسالة ابن شهيد تسير منحى المقامات في الاهتمام بالسجع والغريب من الالفاظ، والجمع بين النثر والشعر والاستطراد في الوصف[1].

* * * *

[1] للتفاصيل ينظر : نصوص مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق : محمد عبدة ، بيروت .